



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 - قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



مطبوعة بيداغوجية

محاضراته في اللسانيات القائمة

لطلبة الليسانس (ل 3 م د) - السداسي الثالث
- تعبة الدراسات الأريية -

الدكتور عبد الرحمن جودي

السنة الجامعية: 2022/2023

- الهدف العام للمقرر الدراسي :

- 1- التوسع في بعض مناهج اللسانيات الحديث ومعرفة خصائصها
- 2- التعرف على طبيعة البحث المشتركة بين اللسانيات والحقول العلمية المجاورة
- 3- دراسة نماذج من تطبيقات مناهج البحث اللساني على اللغة العربية

مفردات المحاضرة	مفردات التطبيق
1 مدخل: تاريخ الفكر اللساني1	الهنود واليونان
2 مدخل: تاريخ الفكر اللساني2	عند العرب (النحو والبلاغة والأصول)
3 اللسانيات الحديثة: (مفهومها/ موضوعها/ مجالاتها)1	ثنائيات دي سوسير(النظام والشكل: اللغة والكلام / الأنية والزمانية)
4 اللسانيات الحديثة: (مفهومها/ موضوعها/ مجالاتها)2	الدليل اللغوي (المدلول / التركيب والاستبدال)
5 خصائص اللسان البشري	الخطية والتقطيع المزدوج
6 اللسانيات والتواصل	دورة التخاطب
7 وظائف اللغة	تطبيق الوظائف من خلال نصوص
8 مستويات التحليل اللساني1	تطبيق على المستوى الفونولوجي
9 مستويات التحليل اللساني2	تطبيق على المستوى المورفولوجي
10 مستويات التحليل اللساني3	تطبيق على المستوى التركيبي
11 مستويات التحليل اللساني4	تطبيق على المستوى الدلالي
12 مستويات التحليل اللساني5	المستوى النصي (الانسجام والاتساق)
13 الدراسات اللسانية العربية الحديثة1	عبد الرحمن حاج صالح
14 الدراسات اللسانية العربية الحديثة2	تمام حسان/ ميشال زكريا/ الفهري/ حساني

طريقة التقييم:

يجري تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السدسي، بينما يكون تقييم الأعمال الموجهة متواصلًا طوال السداسي. (مواظبة، تحضير بطاقة درس، بحوث قصيرة...).

المراجع: (كتب، مطبوعات، مواقع انترنت، ...)

1- اللسانيات واللسانيات العربية: عبد القادر الفاسي الفهري

2- اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج): سمير شريف استيتة

أحمد الله حمدًا هو أهله، وأعوذ به من صلف الهوى وعبث باطل، وبعد:

إنّ أيّ مؤلفٍ دراسيّ يتّخذ من عنوان اللسانيات موضوعاً لن يوفي بشرط الإحاطة الجامعة المانعة، بحكم تنوّع ما كُتب في الموضوع ووفرتة؛ تنوّعا ووفرة فرضتها صعوبة البحث في اللّغة بوصفها ظاهرة إنسانية على درجة عالية من التجريد والتّعقيد، وهي كذلك موضوع يلجّه باحثون من تخصصات متباعدة المرامي والمقاصد.

من أجل هذا اقترح فرديناند دو سوسور مخرجا من هذا المأزق حين أشار إلى أنّ أزمة البحث اللّساني واللّغوي المتعاقب على مدى أزمنة وحقب عديدة، تتمثّل في أنّه لم يحدّد موضوعه بالدقّة الكافية التي تضمن قيامه كعلمٍ مستقلّ بموضوعه وطرائقه الاستكشافية والبحثية.

وعلى هذا الأساس، خُطت هذه المطبوعة لتضمّ المقرّر الرّسمي لطلبة السّنة الثانية، شعبة الدّراسات الأدبية، لعلّها تقرب تصوّر الموضوع والمقتضيات الإبتيمولوجية المؤدية إليه، وقد توخّت تقديم العناصر اللازمة والأفكار المرجعية الصّورية للطلّاب من أجل استيعاب هذه القضايا التي تضمن له الاستفادة من مطالعاته في المجال وإنجاز أبحاث لسانية مستندة إلى معرفة واعية بالرهانات المعرفية لهذا التّخصص.

ونرجوه أن يكون التّوفيق قد حالفنا في تقديم هذه المادة، لتكون عوناً للطلّبة وسندا لهم.

المحاضرة الأولى

مدخل إلى تاريخ الفكر اللساني (1)

عناصر المحاضرة:

- تمهيد

أولاً / تاريخ الفكر اللساني في الحضارة الهندية

ثانياً / تاريخ الفكر اللساني في الحضارة اليونانية

ثالثاً / تاريخ الفكر اللساني في الحضارة الرومانية

رابعاً / تاريخ الفكر اللساني في عصر النهضة

- خلاصة

- تمهيد:

اللسانيات علم قديم جدًا وحديث جدًا، لم يولد من أدمغة العلماء ناضجا مكتملا، ولكن تم تطويره وما زال يتطور، وقد وضّح [جورج مونين/ Georges Mounin] هذه الفكرة حين قال: "سيكون من الخطأ الاعتقاد بأن اللسانيات قد انفجرت للتو مثل قصف الرعد في سماء هادئة؛ منذ ألفي عام ونصف على الأقل أخذ الناس يفكرون في لغتهم باستمرار. يؤهلنا تاريخ هذا العلم لنرى بشكل أفضل ما تتكوّن منه خصوصية النظريات الحالية. كان الهندوس والإغريق ثم العرب أوّل من وضع أسس تحليل صوتي رائع، تمّ إهماله غاية الإهمال لمدة ألفي عام"⁽¹⁾.

والذي ينظر في مسار تطوّر الحضارات الإنسانية سيقف -لا محالة- على تراث لغوي واع في الحقب المتقدّمة من التاريخ، يعجّ بالدراسات الوصفية والتحليلية للظاهرة اللغوية في جميع مستوياتها، كون اللغة تشكّل النظام التّواصلّي الذي يختصّ به المجمع البشري، وقد وجدت محاولات جادة لفلسفة ومفكرين سعوا إلى الكشف عن جوهرها وحقيقتها.

أولا/ تاريخ الفكر اللساني في الحضارة الهندية

ربما كان الهنود -في الهند القديمة- أوّل من فكر في لغتهم على هذا النحو، عن طريق نحاتهم البارزين، وقد كانت اللغة القديمة في الهند (السّنسكريتية)⁽²⁾ لغة مقدّسة، ويتمّ التّمييز بين نوعين من السّنسكريتية: السّنسكريتية الفيديّة⁽³⁾ (أو القديمة) والسّنسكريتية الكلاسيكية.

والمتنبّع لحضارة الهنود وخاصة خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد يجد أنّ الدّراسات اللّغوية كانت المحور الأساس للفكر والمعرفة، وقد برز الكثير من الباحثين والمفكرين، أشهرهم بانيني الذي وضع معايير اللغة السّنسكريتية الكلاسيكية، وقدم تعريفات

¹ Georges Mounin, Clefs pour la linguistique, éditions Seghers, Paris 1971. P.21

² السّنسكريت يعني ما لا عيب فيه ولا نقص، ما ليس فيه لحن.

³ نسبة إلى كتابهم المقدس "الفيدا".

غاية في الدقة وعدّ اللغة نظامًا، فكانت مقاربتة حديثة بشكل مدهش، وأسّس مبدأ علم الصّرف، وكان مهتمًا بالوصف الصّوتي والمعجمي.

ومن أهم الأعمال نذكر ما يلي:

- **يمثّل اللغوي المشهور بانيني** فترة نضج الدّراسات النّحويّة، وذاع صيت كتابه "الأقسام النّمانيّة"⁽¹⁾ الذي سجّل فيه القواعد المختصرة، ووفّق بين الآراء النّحويّة المتناقضة.
- دافع الهنود إلى الاهتمام باللغة هو كتابهم المقدس (**الفيدا/Vedas**)، واعتبروه محور الدّراسات اللغوية آنذاك، ونتج عن ذلك عدد من الدّراسات في مختلف المستويات اللغوية، واتّسعت المباحث لتكوّن ثقافة لسانية. وكان ذلك في مرحلة متقدمة من الزّمن تعود إلى فترة ما بين القرنين (12) و(10) ق.م.
- كانت اللغة (**السنسكريتية**) هي لغة الهند القديمة، ودرسوها دراسات جد دقيقة ومنظمة، شملت دراسة الأصوات والنّحو والمعاجم، ولكن أقدم ما وصل إلى أيدي الباحثين يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد.
- لهم جهود كبيرة في مجال النحو، ومنها:
 - اعتماد منهج علمي يقوم على الملاحظة والاستقراء.
 - تأسيس (12) مدرسة نحوية مختلفة، وما يقارب 1000 مؤلف نحوي.
 - ب) تقسيم الكلمة إلى (**اسم وفعل وأدوات وحروف**)، بين الجذور والأصول والزيادات.
 - ت) تقسيم الفعل إلى (**ماض وحاضر ومستقبل**)⁽²⁾.

- مجهودات كبيرة ومتقدّمة في مجال الدّراسات الصّوتية، حيث عرفوا ماهية الصّوت وصنّفوا الأصوات وفق مخارجها وصفاتها، ووضعوا أحكاما لتجويد القراءة للحفاظ على

¹ يُعرف كتابه بالثمن؛ لأنه ذو ثمانية أجزاء وتسميته الأصلية "الأست -أدهياي، تمّ طبعه في العصر الحديث ونُشر بعدة لغات، وله شروح هندية كثيرة أهمها "الشرح الكبير" للنحوي باتنجالي الذي عاش حوالي سنة 150 سنة قبل الميلاد.

² مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة: طار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان. ط1، 2010م. ص111.

النطق الصحيح لكتاب الفيديا. كما تحدّثوا عن نظام المقاطع في لغتهم، فانفقوا مع كثير ممّا أقره العلم الحديث⁽¹⁾.

• **مجهودات لا تنكر على المستوى المعجمي، لكنها أقلّ مستوى من الدراسات على المستويين الصوتي والنحوي.**

لذلك بنى المحدثون أغلب دراساتهم على ما قدمه القدامى، يقول البروفسور (الن):
"إن الاتصال بين الهنود القدامى والمدارس الغربية الحديثة في دراسة اللغة أشدّ وأوثق في مجال الأصوات عنه في مجال النحو"⁽²⁾.

ثانيا/ تاريخ الفكر اللساني في الحضارة اليونانية

لم تتأخر الحضارة اليونانية في الدّفع بالحركة اللغوية وتأمّل الظاهرة اللغوية بما تحمله من مظاهر قابلة للبحث والتّفسير. وقد تمثل ذلك في دراسات الفلاسفة باعتبارهم الأوائل المهتمين بالدراسات اللغوية. ومنهم أفلاطون وأرسطو والرواقيين...، فاشتغلوا بالتّظهير اللّغوي في مسائل ذات صلة مباشرة بالقضايا اللسانية التي هي من أقرب نقاط الالتقاء بين الفلسفة واللغة.

ومن أهم القضايا التي تطرقوا إليها، ما يلي:

1. قضية "نشأة اللغة": عدّها أفلاطون وأتباعه إلهاً من الله ووحياً، في حين عدّها أرسطو وأتباعه اصطلاحاً من البشر ومواضعاً، وتساءلوا عن ماهية الكلمة، وهل العلاقة طبيعية وضرورية بين الكلمة والشّيء الذي ترمز إليه؟ أتعلّق المعاني بالكلمة أم تعلّق بالطّبع أم تعلّق بالاصطلاح؟

¹ للتوسّع في الموضوع يُنظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العنود وأثره على اللغويين العرب: دار الثقافة، بيروت، لبنان. 1972. ص 47-57.

² أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1988م. ص56.

2. كانت لهم جهود في درس لغتهم على المستويات: الصّوتية، والصّرفية، والنّحوية، والمعجمية.

على المستوى الصّوتي:

- حدّدوا وحصروا أصوات لغتهم بمنهج علمي تحليلي، كما وضعوا رموزاً مكملّة لما أخذوه عن الكتابة السّامية، بحيث صارت كتابتهم معبّرة عن نظامهم الصّوتي، كوضعهم رموزاً للحركات.

- صنّفوا أصوات لغتهم إلى أصوات صامتة وأخرى صائتة.

على المستويين الصّرفي والنّحوي: بذلوا جهوداً في دراسة لغتهم:

- صنّفوا الكلمة إلى 08 ثمانية أصناف، معتمدين في ذلك على معايير لغوية وفلسفية، هذه الأصناف الثمانية هي: الاسم، والفعل، واسما: الفاعل والمفعول، والضمير، وأداة التعريف، والحرف، وأدوات الربط، والظرف.

- قسّموا الاسم وفق العدد إلى (مفرد وجمع) وقسموا الاسم وفق الجنس إلى: (مذكر ومؤنث). ونوع ثالث "المحايد". كما قسموا الفعل وفق الزمن إلى أنواع عدة، كما وقفوا على الإعراب وعلاماته، كما كانت لهم جهود في الكشف عن موقع الكلمة في الجملة.

على المستوى المعجمي: وضعوا قواميس ترتّب الألفاظ وفق صورتها وموضوعاتها.

ومن أهم ما يمكن أن يستنتج من هذه الدّراسات:

- غلبة الفكر الفلسفي على الدراسات اللغوية وخضوعها للنظريات المنطقية، فبُعِدَت الدّراسات عن ذاتية اللغة.

- هدفها التّعليم ووضع قواعد لتمييز الصّواب من الخطأ من طرق الصّياعة اللغوية، وهو مما يخرجها من دائرة اللسانيات عند هؤلاء العلماء.

- حُلُوّ دراساتهم من المقارنة بين اليونانية وغيرها، فلا أثر للمنهج المقارن في تراث اليونانيين، بسبب تفضيلهم لغتهم على سائر لغات البشر.

ويرى أغلب الباحثين أنّ الدّراسة اليونانيّة القديمة هي نقطة البدء الأساسيّة التي يمكن الانطلاق منها إلى دراسة الفكر اللغوي الغربي "لأنّ المفكرين اليونان الذين فكروا في اللغة وفي المشكلات التي تثيرها البحوث اللغويّة، قد استهلوا في أوروبا الدّراسات التي يمكن أن نطلق عليها العلم اللغوي بمعناه الواسع، ولأنّ هذا العلم كان مركز اهتمام مستمر منذ اليونان القدماء، وحتى العصر الحاضر في تتابع متصل للمعرفة".

ثالثاً/ تاريخ الفكر اللّساني في الحضارة الرّومانية

ورث الرومان الحضارة اليونانية، بحكم تتلمذهم عليهم، فقد كانوا تلامذة لعلماء اليونان في الدراسات اللغوية، ومن أشهر العلماء الذين ظهوروا في المجال اللغوي بداية من (فارو) في القرن الثاني (2/ ق.م) في الفترة من (116 إلى سنة 27 ق.م)، وإلى غاية ظهور العالم (برشيان) سنة 500م.

ومن نشاطاتهم اللغوية:

- عمد الرومان إلى إخضاع ظواهر لغتهم (اللاتينية) لقواعد اللغة (اليونانية) الموروثة، واستعملوا مصطلحاتها التي كانت تُستعمل من عهد "أرسطو".

- التّرجمة اللغوية: دار اهتمام النّاس في ذلك الوقت حول الكتاب المقدس، فترجم علماء يهود العصر القديم إلى اللغة اليونانية، ثم طالت التّرجمة الأدب الإغريقي الذي نقل إلى اللاتينية بشكل منظم ابتداء من القرن (4 ق م)، كما اضطر الشعراء إلى اقتباس النّظام العروضي من اللغة اليونانية مكيفين إياه مع طبيعة لغتهم.

- التّعدد اللغوي: ذكر "أوليوس جيلوس" من أن "ميترداس" ملك "بونتوس" حوالي سنة (63 ق.م)، كان قادراً على محادثة رعاياه بكلّ اللغات التي ينطقون بها، وقد بلغت زمنه (20 جماعة لغوية).

-النظريّة اللغويّة: طبق الرومان أغلب المقولات اللغوية اليونانية في وصف اللغة

اللاتينية⁽¹⁾، فاطلاّعهم جليّ على آراء مدرسة الإسكندرية والرواقية، ويبرز جليا في العمل الكبير الذي أنجزه اللغوي والفيلسوف الروماني "فارو" في كتابه "اللغة اللاتينية" وهو مؤلف من 25 مجلدا. وقد كان "فارو" رواقيا إلى حد بعيد، ويمكن تلخيص ما قدّمه هذا العالم للدراسة اللغوية في: الاثيمولوجيا والصّرف والنحو، ففي اللغة ثروة مفردات راجعة إلى أنواع من الاشتقاق أوجدت هذا العدد الكبير من الألفاظ، وتغير الصيغ عبر التاريخ راجع إلى الاقتراض اللغوي بين اللاتينية والإغريقية، بل عائد إلى أصول أوروبية وهذا ما لم يكن معلوما على الإطلاق في تلك الفترة.

أما موقفه من ظاهرتي الشذوذ والإطراد فهو وجوب التسليم بهما معا في اللغة ذلك أن اللغة تنحو منحى براغماتيا، فما هو مهم للإنسان تكون له أكثر من لفظة، وما يفقد أهميته عكس ذلك، ففي اللغة اللاتينية مثلا يميزون بين جنسي الحصان والفرس؛ فكل منهما صيغة، أما الغراب -مثلا- فلا نجد له إلا اسما واحد يطلق على المذكر والمؤنث.

وهناك لغوي آخر هو "كونتيليان" عاش في (ق1م)، عدّ القواعد مدخلا لفهم الأدب في إطار المعرفة العقلانية، وناقش نظام الحالة في اللغة اللاتينية والذي يمثله الفعل المضارع.

كما يمكن أن نشير إلى "برسيان"⁽¹⁾ فهو المسؤول ورفاقه من علماء العصر الكلاسي على ظهور النحو التعليمي للغة اللاتينية والذي ظل مدروسا بشكل هام عبر فترات ممتدة إلى مرحلة القرون الوسطى، ويتلخص جهده في كتاب يقع في (12) جزءا عكس فيه المنظومة القواعدية اللاتينية المتأثرة بجهود اليونانيين وخاصة منهم الرواقيين⁽²⁾.

ونسجل هنا بداية الأعمال المعجمية، إذ إنّ اللاتينية التي وصوفها برسيان ودوناتوس تبدلت

¹ محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1982م. ص62.

² ر. ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، 1997. ص82.

تدرجيا وهو ما ظهر في عمل ديني مترجم للكتاب المقدس من الأب جيروم (1). وفي الأخير نقول إن المعرفة بكل فروعها كانت ثابتة في نقطة واحدة تنظر للماضي باعتباره أنموذجا يجب احتذائه، فتغلبت النظرة المعيارية في مجالات الثقافة والفنون والآداب والقواعد... وأجهد العلماء أنفسهم في شرح وتلخيص ما تركه الأوائل.

رابعا/ تاريخ الفكر اللساني في عصر النهضة:

شهدت هذه الفترة نشاطات فكرية كبيرة، وتوجه الاهتمام نحو العناية باللغة وكل ما يتصل بها كضبط النصوص وتأويلها وتاريخ الأدب وإحياء اللهجات الأوروبية، واكتشاف لغات جديدة وإصلاح أنظمة الكتابة وتقنين القواعد. وانبرى العلماء إلى دراسة النصوص اللغوية للمقارنة بين نصوص من عهود مختلفة، واستخراج الخصائص التي تميز نصوص الأدباء لإبراز الجيدة منها في اللغتين اليونانية واللاتينية، نظرا لما تحمله من تراث عريق، وما تتمتع به من مكانة مرموقة في نظر المستشرقين الذين عدّوها مثالا تحتذيه اللغات الأخرى في التعقيد لنحوه(2).

يضاف إلى هذا امتزاج الدراسة اللغوية بالرؤية المنطقية، ونعرض في هذا الصدد قول ميلكا افيتش «إن الدراسة في القرن السابع عشر قد حكمت بموروث الماضي، فقد كان التصور المنطقي للغة إطار نظريا للنحو، وخاصة عند الفرنسيين... والمعايير النحوية يجب أن تطابق التصور المنطقي إلى أقصى حد ممكن، فالمنطق عالمي وعام في كل لغات البشر، وإنه من الممكن صياغة نظرية نحوية عالمية تكون مناسبة لجوهر لغات العالم جمعاء، وكانت لهذه الأفكار أصداء متعددة وكانت الدراسة الماثورة للنحو المعياري قد بدأت

¹ عبد الرحمان الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، اللسانيات، مجلة في علوم اللسان، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، 1997، العدد7، ص50.

² أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ص 46-47.

في كل أنحاء العالم»⁽¹⁾.

كان البحث اللغوي خلال العقود الأولى من عصر النهضة، مقيداً باتجاهات العصور الوسطى في النظر إلى اللغة وخاصة النحو، وكان نحاة أوروبا في القرن السابع عشر وما بعده يحاولون وضع نحو عام لجميع اللغات؛ لأنها مهما اختلفت تلتقي في كونها تخضع للمقولات الأرسطية نفسها التي تشكل قاسماً مشتركاً بين جميع لغات البشر⁽²⁾.

كان بعض العلماء - خلال عصر النهضة - يرون أن أفكار العصور الوسطى تمثل فترة الركود الفكري واللغوي، لاهتمامهم بالفلسفة وتمجيدها اللغات اللاتينية، ولا مناص من القيام بشيء يعيد للدرس اللغوي تطوره وازدهاره، وكان للتبشير المسيحي والحاجة الملحة والاتصال بالأمم الأخرى لتنصيرها والكشوف الجغرافية أثر كبير في إثراء الدرس اللغوي، إذ اهتم الأوروبيون بلغات الأمم الأخرى، حتى يكون الغزو الثقافي موصولاً إليه اعتماداً على فهم لغات الشعوب المستعمرة، وكان دور رجال الدولة والدبلوماسيين لا يقل أهمية عن دور رجال الدين في ذلك⁽³⁾.

وقد زاد الاهتمام باللغات الوطنية في عصر النهضة، و« خلال القرن الخامس عشر أخذت اللغات الوطنية في الظهور، واحتلت مكانتها واستعمالها، وقد أدى هذا إلى ظهور مجموع ضخم من المادة اللغوية المعاصرة التي كانت مهملة ومتجاهلة منذ زمن بعيد»⁽⁴⁾ وسبب هذا التجاهل والإهمال هو تركيز الاهتمام على اللغة اللاتينية.

وساعد اختراع الطباعة على نشر المؤلفات، وأسهمت في تعميق الشعور الوطني بأهمية اللغات المحلية، وفي هذا الصدد يقول يسبرسن « وفي هذا القرن فإننا نشهد اهتماماً

¹ ميلاكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني: ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة. ط2، 2000. ص 32.

² مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة: ص 127.

³ بكري محمد الحاج، اتجاهات التحليل اللغوي: النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية. ط1، 2014. ص 35.

⁴ ميلاكا افيتش، اتجاهات البحث اللغوي: ص 23.

عميقا باللغات المختلفة... وكان العامل المهم في هذا العنصر هو اختراع الطباعة»⁽¹⁾. ونشطت الدراسات الصوتية، وتواصل في الوقت نفسه الاهتمام بالنحو العقلي.

هذه أهم الإيجابيات التي أفرزها عصر النهضة، والتي كان لها أثر واضح في تاريخ الدرس اللغوي، وأسهمت في تطويره وازدهاره بإقصاء اللاتينية. والاتجاه ضد الفلسفة السكولاستية (رفض هذه الفلسفة)، ولّد هذا التوجه الجديد في الدرس اللغوي « وجهتي نظر متقابلتين، كان لهما دور أساس في تطور النحو إحداهما الاتجاه التجريبي الذي ارتبط بفرانسيس بيكون وغيره، وثانيه الاتجاه العقلاني الذي ارتبط بديكارت وأتباعه»⁽²⁾.

- ديكارت: ينطلق ديكارت في تعامله الفلسفي مع اللغة من إشكالية معرفية جوهرية تتمثل في طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر، وهي إشكالية قديمة تعود أصولها إلى الفكر اليوناني (أفلاطون). وقف ديكارت في تناوله التأملية والفلسفي للغة موقفين مختلفين، هما:

1- اللغة وسيلة غير دقيقة لا تصلح للتفلسف؛ لأنها لا تمكّن الإنسان من التعبير بكل أمانة عن جوهر مضامين العقل البشري في جوانبه الاستدلالية والمنطقية، وكان يحلم بلغة مثالية خاصة.

2- ينظر إلى الظاهرة اللغوية في ذاتها نظرة تقدير وإعجاب كبيرين، ويؤكد على أهمية العقل عند الإنسان واستخدامه الذي يمكنه من أن يتصرف بوعي تام عكس الكائنات الأخرى، وجهاز النطق لا يكفي للتعبير عن كل مضامين وظروف الحياة على النحو الذي يبعثنا عقلا للعمل، والقدرة على اللغة ليست مرتبطة بوجود جهاز النطق عند الإنسان⁽³⁾.

إن ما يميّز اللغة عند ديكارت هو ارتباطها الوثيق بالعقل، والعقل في حدّ ذاته هو مصدر المعرفة، وأساس كلّ إدراك، وبالتالي فهو أسمى الحواس المادية ومستقل عنها، لأن

¹ نقلا عن: بكري محمد الحاج، المرجع السابق: ص 37 .

² المرجع نفسه، ص 34.

³ ميشال زكرياء، الأسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،

بيروت. ط2، 1985. ص 14، 16.

العقل يتيح لنا أن نتصرف في كل المناسبات. وبهذه الآراء، هو سبّاق إلى القول بفطرية اللغة التي تعدّ من الأفكار اللغوية التي كان لها تأثير قوي في مسار الدرس اللغوي منذ القرن السابع عشر إلى اليوم.

- مدرسة بور رويال⁽¹⁾:

أصبحت الرؤية الفلسفية العقلية مع بداية القرن السابع عشر عاملا حاسما في الدرس اللغوي، ووجدت أفكار ديكارت في تميّز الإنسان باللغة وارتباطها بالفكر إقبالا كبيرا في الأوساط الفكرية الأوروبية، ولاسيما النحاة الفرنسيين على نحو ما نجد عند نحاة بور رويال مع صدور كتابهم الشهير "النحو العام والعقلاني" سنة (1660م)، الذي ألفه [لانسلو/C. Lancelot] و [أرنولد/A. Arnaud]، وقد عبّر الكتاب عن القاعدة الأساسية لنحاة بور رويال تعبيرا صريحا، فهم يرون أنّ الدّراسة النّحوية تندرج في إطار المقاربة الفلسفية المنطقية للنحو، لكشف جوانب التطابق بين البنيات المنطقية والبنيات اللغوية وبالتالي العلاقة الوثقى بين النحو والمنطق⁽²⁾.

وقد تأثر نحاة بور رويال -أيضا- بأفكار المذهب العقلي عند ديكارت، وكان مذهبه سببا رئيسا في ظهور فكرة القواعد العالمية في فرنسا، ويرى ديكارت أنّ العقل في ذاته هو مصدر كلّ معرفة، وهو بهذا أسمى الحواس ومستقل عنها، ومن هذا المنطق شرع النحاة العقليون يبحثون عن ما هو مشترك بين جميع اللغات، لبناء نظرية نحوية عالمية، تناسب جوهر كل اللغات في العالم⁽³⁾، إذ اللغات مهما اختلفت تلتقي في كونها تخضع للمقولات

¹ تعد هذه المدرسة من أشهر المدارس النحوية التي ظهرت في عصر النهضة وداع صيتها كثيرا في فرنسا وخارجها، وقد أسست هذه المدرسة سنة 1637 وحلت سنة 1661 نتيجة الصراعات الدينية والسياسية في فرنسا آنذاك، وصدرت الطبعة الأولى لكتابهم سنة 1660، أما اشتهاره بنحو بور رويال، لأن مؤسسها C.lancelot و A.arnand كانا يقطنان بدير بور رويال قرب باريس. (عبد الرحمن الحالج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 101).

² ميكا إفيش، اتجاهات البحث اللغوي: ص 37.

³ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ص 49.

الفكرية العامة نفسها المستمدة من منطق أرسطو، ومن هذا المنطق شرع نحاة هذه المدرسة يبحثون عما هو مشترك بين جميع اللغات بغض النظر عن الاختلافات التي تنشأ من البنية السطحية⁽¹⁾.

تتجلى فكرة النحو العام والعقلي في نحو بور رويال في الإحالة المتكررة على قواعد العقل والفكر الإنساني باعتبارها تحيل على مبادئ فكرية عامة عقلية معرفية عند الإنسان، ومحاولة إثبات أن بنية اللغة من نتائج العقل تتشعب من منطق عام، ونظام عقلاني واحد، وهي في تمظهراتها السطحية المتعددة إنما تعكس أنماطا مختلفة لبنية عقلية ومنطقية واحدة⁽²⁾.

- خلاصة:

يبدو تأثير نحاة بور رويال واضحا بأفكار ديكارت، في تأكيدهم على تفرد الإنسان بالقدرة على اللغة واعتبارهم العقل البشري قوة لا تضاهي، وتمسكهم بالموقف الفلسفي العقلاني لديكارت المتمثل في الارتباط الوثيق بين الإنسان، اللغة، والعقل (الفكر)، وتتشكل هذه العناصر من مبدئين اثنين: العقل يولد مع الإنسان واللغة تولد الإنسان.

كان لهذه الآراء أصداء كثيرة، وقد انطلق التراث الراسخ للنحو المعياري في أوروبا كلها تقريبا، وبدأ الاهتمام البالغ بعلاقة اللغة بالفكر⁽³⁾، إلا أن التحليل اللغوي لم يصل درجة إلى إقامة علاقة حقيقية بين اللغة والمعرفة.

¹ المرجع نفسه، ص 59.

² مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة: ص 130-131.

³ روي هاريس، أعلام الفكر اللغوي: تعريب أحمد شاكر الكلابي، ط12، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.

2004، ص 147-164.

المحاضرة الثانية

مدخل إلى تاريخ الفكر اللساني (2)

عناصر المحاضرة:

أولاً/ تاريخ الفكر اللساني عند العرب

ثانياً/ تاريخ الفكر اللساني في عصر النهضة

أولاً/ تاريخ الفكر اللساني عند العرب:

يعود ظهور الدرس اللغوي العربي لأغراض دينية بالدرجة الأولى وأخرى دنيوية: لقد ارتبط ظهور الدرس اللغوي العربي بنزول القرآن، ولم يؤثر عنهم أي نوع من الدراسات اللغوية قبل الإسلام، فلما انتشر الإسلام في بلاد العجم ودخل غير العرب في الدين الإسلامي، اقتضت الضرورة أن يتعلموا اللغة العربية ليعرفوا دينهم، ولأن إتقان اللغة يحتاج إلى وقت طويل فقد انتشر اللحن على ألسنهم، وانتشار القراء في البلدان المفتوحة ليعلموا الناس القرآن أدى إلى تعدد القراءات واصر الناس يفاضلون بين القراءات، فسارع الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- إلى التصدي لهذه الظاهرة وجمع ما كتب من القرآن في مصحف ليجمع به شمل المسلمين، ولكن مصحف عثمان كان ينقصه الشكل والتنقيط -الذي لم يعتمد بعد في الكتابة العربية- فأدى إلى انتشار اللحن بين الأعاجم على نطاق واسع(1).

ولم يقتصر اللحن على مستوى دون آخر، بل لحق جميع مستويات اللغة، انطلاقاً من طريقة نطق بعض الأصوات سواء في المخرج أو بعض الصفات (الترقيق/ التخميم)، (الانفجار/ والاحتكاك)، تبعاً للعادات المكتسبة من اللهجات العربية أو اللغات الأخرى، إلى اللحن في النوع (التذكير والتأنيث) أو في اشتقاق الصيغ... إضافة إلى اللحن في الإعراب وفي تركيب الجمع والمطابقة أو المخالفة في التذكير والتأنيث أو في التعريف والتكثير... وكان على أولي الأمر وضع حد لهذه الظاهرة الخطيرة، فأوكل الأمر إلى أبي الأسود الدؤلي -حسب أشهر الروايات- فكانت بداية للقضاء على اللحن، وبداية في الوقت نفسه للدرس النحوي العربي(2).

وحفّزت الأهداف الدنيوية الناس على إتقان اللغة العربية، فاللغة العربية كانت لغة

¹ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ص 36.

² ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: ص 80.

الدولة، ووسيلة لمن يتطلع إلى الاضطلاع بأعباء المسؤوليات⁽¹⁾، إذ يستحيل على من لا يتقن اللغة العربية مباشرتها لما تقتضي من ضرورة التّواصل والتّوثيق الإداري وما تبعه من إجراءات...

بعد هذا العمل قدم اللغويون العرب القدماء دراسات جديرة بالتقدير والإعجاب في مجال الأصوات، ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من درس أصوات اللغة العربية، وصنّفها تصنيفاً علمياً دقيقاً يقوم على أسس عضوية فيزيولوجية في تصنيف الأصوات المختلفة وفحص عمليات أعضاء النطق، وتحديد مواضعها لكل صوت وتمييز الأصوات إلى نوعين (السواكن والحركات)، وتوزيعها على مخارجها وتحديد صفاتها بالنسبة لكل صوت ودرجة اتصالها وغير ذلك من المسائل الصوتية الأخرى⁽²⁾. ويعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من درس أصوات العربية، ورتّبها ترتيباً صوتياً حسب المخارج، من الحلق إلى الشّفاة في معجمه العين، وبدأه بحرف العين وهو أعمق حرف في الحلق، وعالج كذلك عدّة نظريات تتعلّق بالنحو والصّرف والعروض والقياس.

أما في النحو فيجمع النحاة العرب أن النحو العربي بلغ ذروته على يد سيبويه، ويعد كتابه (الكتاب) أساس الدّراسات النّحوية التي جاءت بعده حتّى سماه النّاس قرآن النّحو العربي. وضع سيبويه الإطار الشّامل للنّحو متّبعا منهاجا ينحو منحى الفطرة، يجمع بين الوضعية والمعيارية⁽³⁾، فدرس أساليب الكلام في الأمثلة والنصوص ليكشف عن صحة وخطأ الرّأي فيها من خلال عدد هائل من الشّواهد الشعريّة والآيات القرآنيّة. ويشبه بعض العلماء المحدثين منهج سيبويه في التّحليل اللّغوي بالمدرسة التّحليلية الشّكلية الحديثة التي تعتمد على الشّكل دون المضمون، ولم يتورّط في مشكلة التّعريفات.

وعلى الرّغم ممّا قدّمه اللغويون العرب القدماء من دراسات لغوية شاملة في مجال

¹ لهذه الأسباب انتزع الموالي الرّاية النّحوية من أيدي الطّبقة الأولى من نحاة العرب.

² محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي: دار المعارف، الإسكندرية، 1962. ص 88-95.

³ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ص 38.

الأصوات والصرف والنحو والمعاجم، ووصف اللغة العربية وصفا دقيقا مستقلا، إلا أن هذه الجهود لم تشفع لهم بوجود أخطاء منهجية في تقعيدهم للمادة اللغوية، وهذا ما كان سببا في ظهور عدة مدارس نحوية، أشهرها مدرستا الكوفة والبصرة في العراق، ومدارس أخرى خارج العراق⁽¹⁾. وكان بين مدرستي الكوفة والبصرة خلاف في القضايا النحوية وتتافس شديد إلى حد الصراع؛ إذ اتجهت مدرسة البصرة اتجاها فكريا فلسفيا اعتمدت فيه العقل والقياس لمقارعة الحجة بالحجة، ومناظرة كل من يحلو له النقاش من الأجناس المختلفة التي كانت تقطن هذه المدينة، العرب والعجم، ولقيت مصطلحاتها رواجاً كبيراً في أوساط الدارسين مقارنة بمدرسة الكوفة التي غلب على منهجها طابع النقل والوصف والأخذ بالأشياء كما وجدت.

ومن جهة أخرى، شهد القرن الرابع الهجري ظهور مجموعة من الكتب النحوية التعليمية. وبدأت تبرز -بعد هذه المرحلة- المنظومات النحوية (مختصرات النحو)، وكان أشهرها ألفية ابن مالك التي اعتنى المدرسون بشرحها وتعليق الحواشي على شروحيها⁽²⁾.

لقد فكّر اللغويون العرب في لغتهم واستنبطوا منظومتها الكلية وحددوا فروع دراستها بتصنيف علوم اللغة وبتبويب مباحثها، بل إنهم تجاوزوا حدود الضبط والتخمين إلى إدراك مرتبة التفكير المجرد في شأن الكلام بما هو ظاهرة متعالية، وانتهوا إلى فلسفة منشأ نظامها لما وضعوا علم أصول النحو.

ويمكن أن نجمل جملة من المفاهيم التأسيسية التي سمحت لهم بالتوغل في فهم اللغة العربية فيما يلي:

■ النظرة النحوية: الألفبائية العربية والعلامات الإعرابية ومقولات التراكيب من اسم وفعل وحرف ومختلف تجلياتها وأهم أحكامها...⁽³⁾

¹ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ص 39-41.

² أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ص 41.

³ لمزيد من التفصيل ينظر: البحث اللغوي عند العرب، ص 95 وما بعدها.

- النظره الصوتية: استخلاص الالفبائية ووصفها وتحديد صفاتها ومخارجها(1).
- علم التجويد: كان يهتم بالأصوات اهتماما بالغا، وبخاصة التشكيل الصوتي الذي لم ينل من اهتمام الباحثين في آية لغة ما ناله في العربية، كما تكفلت القراءات القرآنية ببيان اللهجات أو الاستخدام اللغوي على المستوى غير الأدبي على نحو لم نعهده في غير البحوث اللغوية الحديثة جدا.
- النظرية المعجمية بمختلف أنواعها (المعاجم اللغوية والاصطلاحية)، وفروع المعاجم اللغوية (معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني) ، وترتيبها وتبويبها وفق مناهج مختلفة (ألفبائية وأبجدية وصوتية)(2) حتى كادت تستنفذ كل الاحتمالات الممكنة(3).
- النظره الدلالية: تحديد المعاني وفق المباني وتحديد مختلف العلاقات اللغوية كالشمول والتضاد والتنافر والتغير الدلالي والسياق والمقام ...
- النظره البلاغية بمفهومها الواسع.

يقول عبد السلام المسدي: « إنَّ التفكير العربي قد أحرز نظرة شمولية في الظاهرة اللغوية ولعلّ ذلك ما كان إلّا محصولاً طبيعياً لعوامل تاريخية تنصب جميعاً في ميزة الحضارة العربية التي اتّسمت قبل كلّ شيء بالمقوم اللفظي حتى كان تاريخ العربي يتطابق وتاريخ سلطان اللفظ في أمته ولم تكن معجزة الرسول إليهم إلا من جنس حضارتهم في خصوصياتها النوعية،... فالعرب بحكم مميزات حضارتهم، وبحكم اندراج نصهم الديني في

¹ لمزيد من التفصيل ينظر: البحث اللغوي عند العرب: ص 95 وما بعدها.

² مدرسة الترتيب الصوتي: معجم العين للخليل، تهذيب اللغة للأزهري، مختصر العين للزبيدي، والمحكم لابن سيده.

- مدرسة الترتيب الألف بائي الخاص: معجم الجمهرة لابن دريد، مقاييس اللغة المجمل لابن فارس.
- مدرسة الترتيب على الحرف الأخير (القافية): الصحاح للجوهري، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، ولسان العرب لابن منظور.

-مدرسة الترتيب حسب أوائل الأصول: أساس البلاغة للزمخشري.

³ ينظر: البحث اللغوي عند العرب: ص 175 وما بعدها.

صلب هذه المميزات قد دعوا إلى تفكر اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي للغة فحسب، بل قادهم النظر أيضا إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين»⁽¹⁾.

إنّ الفكر اللغوي العربي بلغ ما بلغ من شمول النظرة بفضل ما تجمع لديه من مصادر المنهج العقلاني وطرائف البحث النظري، وهو فكر بني على استيعاب الرّوافد التي سبقته، فتمثل المواريث الهندية واليونانية، وتفرّد بخصوصيات نوعية، ومثّل مرحلة هامّة في تاريخ الفكر الإنساني عامة والتّفكير اللغوي خاصة.

قد تطوّر البّحث اللغوي عند العرب عن طريق تناول العلماء لحياة العربية وتطوّرها وأسباب هذا التطور الذي يُعدّ الإسلام في مقدمتها؛ على نحو ما نجده في الصّاحبي لابن فارس(ت393هـ)، وغير ذلك من قضايا لغوية تناثرت في بطون أمّات الكتب اللغوية، كالخصائص لابن جني (ت395هـ)، وفقه اللغة للثعالبي(ت429هـ)، والمخصّص لابن سيّده(ت458هـ)، والمزهر للسيوطي (ت911هـ)... وغيرها من كتب اللغة.

¹ عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان. ط1، 2010.

ثانيا/ الدراسات اللغوية الغربية قبل ظهور اللسانيات:

مرّ هذا العلم بثلاثة أطوار عند الغربيين قبل أن يتوصل أصحابه إلى تعيين موضوعه الحقيقي والوحيد:

-**الطور الأول**، اشتغل فيه اللغويون بالنحو "*Grammaire*"، الذي شرع فيه اليونان من قبل، وتواصل على يد الدارسين الفرنسيين قائما على المنطق، وكان هدفهم وضع قواعد للتمييز بين الصحيح وغير الصحيح من صيغ الكلام، وبالتالي فهو مبحث تعديدي بعيد عن الدراسة الوصفية.

-**ويتحدّد الطور الثاني** بظهور **الفيلولوجيا**، التي ترجع أصولها في التراث الأوربي إلى مدرسة الإسكندرية القديمة، ثم أخذت في الازدهار في أوروبا من القرن (18) حتى القرن (20)، وتقترن هذه التسمية بتلك الحركة العلمية التي أنشأها [**فريدريش أغسطس وولف** / *Friedrich August Wolf*] بداية من سنة (1777)⁽¹⁾.

اعتمد الفيلولوجيون منهج النقد قصد المقارنة بين النصوص في عهود مختلفة وتحديد اللغة الخاصة بكل كاتب أو لرفع العجمة عن الكتابات المنقوشة بلغة عتيقة أو غامضة وتفسيرها.

وقد مهدت هذه الأبحاث الطريقة أمام اللسانيات التاريخية، غير أن النقد الفيلولوجي فيه نقص لتعلقه باللغة المكتوبة، وسهوه عن اللغة الحية، بالإضافة إلى تركيزه على العصور اليونانية واللاتينية القديمة.

-**أما الطور الثالث**، فيبدأ باكتشاف إمكانية مقارنة اللغات فيما بينها، فكان ذلك منطلقا للنحو المقارن، حيث في (1816) أصدر [**فرانز بوب** / *FRANZ BOPP*] كتابا أسماه " **نظام التصريف في اللغة السنسكريتية** " درس فيه العلاقة التي تربط هذه اللغة بالجرمانية واليونانية

¹ وليست اللغة موضوع الفيلولوجيا الوحيد، بل إن ضبط النصوص وتأويلها والتعليق عليها تمهيدا لبحثها من أجل انشغالاتها، حظي بهذا البحث النصوص القديمة وفي مقدمتها نصوص التراث اليوناني والتراث اللاتيني.

واللاتينية وغيرها، ولم يكن لبوب قصب السبق بل إن [وليام جونز/W.JONES] (ت1794) قد سبقه إلى اكتشاف هذه الحقيقة⁽¹⁾.

وإلى جانب بوب برز عدد من اللسانيين الأعلام منهم [يعقوب قريم/ Jacob Grimm] مؤسس الدراسات الجرمانية و[بوت/Pott] الذي قام ببحوث إيتيمولوجية وفرت للسانيين مادة ضخمة و[كون/Kuhn] الذي تعلق أعماله باللسانيات وبالميثولوجيا ومن بين آخر ممثلي هذه المدرسة [ماكس موللر/ Max Muller] و[ج. كورتيسوس/G. Curtius] و[أغسطس شليشر/August Schlecher]، وقد بذل ثلاثتهم في سبيل الدراسات اللغوية جهودا طائلة أذاعها ماكس موللر في محاضراته " دروس في علم الكلام البشري" في(1861)، أما [ج. كورتيسوس] وهو فيلولوجي اشتهر بكتابه " مبادئ في الإيتيمولوجيا اليونانية" وكان من الأوائل الذين وفقوا بين النحو المقارن والفيلولوجيا، وأما أغسطس شليشر وهو أول من حاول تقنين نتائج الأبحاث الجزئية فكتابه " مختصر في نحو اللغات الهندية الأوروبية المقارن" (1861)، هو ضرب من تقنين ذلك العلم الذي أسسه بوب.

إلا أن هذه المدرسة مع ما لها من فضل في فتح مجال خصب للبحث لم توفق إلى تأسيس علم اللسان الحق لأنها لم تعتني باستخلاص طبيعة موضوع دراستها حين لم يتساءل أصحابها عن مغزى ما كانوا يقومون به من مقارنات بين اللغات وعن مدلول ما كانوا يكتشفونه من علاقات، لأن دراستهم كانت نحوية مقارنة ليس إلا.

وفي سنة (1870) أدرك الباحثون أن ما يجمع بين اللغات من صفات مشتركة ما هو إلا وجه من وجوه الظاهرة اللغوية، وما المقارنة إلا وسيلة ومنهج لإعادة بناء الوقائع اللغوية.

¹ غير أن الدارسين أدركوا بوجه عام حوالي سنة (1816) مدلول هذه الحقيقة ومدى أهميتها، ولئن لم يكن لبوب فضل السبق في اكتشاف ما بين اللغة السنسكريتية ولغات أوروبا من قرابة، فإليه يرجع الفضل في إدراك أن العلاقات القائمة بين لغات بينها قرابة يمكن أن تصبح موضوعا لعلم قائم بذاته.

وأما اللسانيات بالمعنى الصحيح فقد نشأت عن دراسة اللغات الرومانية واللغات الجرمانية التي كان [دييز / Diez] رائدها بكتابه " *نحو اللغات الروماني* " إذ قرب اللسانيات من موضوعها الحقيقي، ذلك أن دارسي اللغات الرومانية كانوا يحظون بظروف ممتازة لم يحظ بها دارسو اللغات الهند أوروبية، فهم يعرفون اللاتينية وهي النموذج الأصلي للغات الرومانية، بالإضافة إلى وفرة الوثائق التي سمحت لهم بتتبع مختلف الألسن الرومانية في أدق تفاصيلها و هو ما طبع هذه الدراسة بطابع ملموس وأبعدها عن وجوه الاحتمال، فانتهوا بذلك إلى تصورات مخالفة لتلك التي انتهى إليها رواد الدراسات الهندية الأوربية.

ويعد الأمريكي [ويتني/Whitney] صاحب كتاب حياة اللغة الصادر سنة (1875) رائد هذه الدفعة إذ سرعان ما تكونت إثره مدرسة النحاة الجدد (*Jung grammatiker*) وكان رؤساؤها جميعا من الألمان من بينهم: [ك. بروقمان/*K. Brugma*] و[هـ. أوستهوف/*H.Osthoff*] ومن المتخصصين في الدراسات الجرمانية [و. بروان/*W. Braune*] و[أ. سيفرس/*E.Sievers*] و[هـ. بول/*H.Paul*] وقد كان لهؤلاء الفضل في إحلالهم نتائج منهج المقارنة محلها من المنظور التاريخي، وبالتالي ربط حلقات الأحداث اللغوية حسب نسقها الطبيعي، وبفضلهم لم يعد الناس يعتبرون اللغة جهازا يتطور من تلقاء نفسه، بل صاروا يرون فيها نتاجا من نتاجات الفكر الجماعي للمجموعات اللغوية. ومهما تكن قيمة الخدمات التي أسدتها هذه المدرسة إلا أنها لم تكشف عن غوامض المسألة اللسانية التي ظلت قائمة تنتظر من يحلها.

المحاضرة الثالثة

اللسانيات الحديثة

(مفهومها / موضوعها / مجالاتها) 1

عناصر المحاضرة:

1. تعريفه بـ "ديجوسوسير"
2. تأثيراته في فكر ديغوسوسير
3. مفهوم اللسانيات
4. موضوع اللسانيات
5. أهداف الدراسة اللسانية
6. مجالات اللسانيات
7. جهود العلماء في توحيد مصطلح اللسانيات

1. تعريف ب[فرديناند دي سوسير/Ferdinand de Saussure](1857- 1913) :

لساني سويسري ولد ب(جنيف) في سويسرا، يُعرف برائد بمؤسس اللسانيات البنوية وبأعماله المتميزة في اللغات الهندو أوروبية. ويعتقد خاصة في أوروبا بأنه مؤسس اللسانيات الحديثة وواضع أسس السيميولوجيا.

وهو سليل أسرة ذات إنجاز رصين في مجال العلوم الطبيعية، لكنه اختار توجّه وهو في سن مبكرة إلي الدراسة اللسانية، وساعده في ذلك عالم اللغة [بيكتيت/Pictet]، فتعلّم الألمانية والإنجليزية واللاتينية، بالإضافة إلي الفرنسية، وعندما بلغ سن الخامسة عشر، أضاف إليه معرفته باليونانية، وقد كتب ل(بيكتيت) مقالا عن اللغات، حاول فيه التوصل إلي نظام عام للغة يُرجع فيه اللغات جميعا إلي نظام يقوم على حرفين أو ثلاثة من الحروف الساكنة الأساسية، وعلى الرغم من مقدار السطحية التي وسمت هذه المحاولة، إلا أنّ [بيكتيت] لم يثبط عزيمة (سوسير)، وإنما شجعه علي أن يدرس السنسكريتية وهو ما يزال تلميذا في المدرسة.

بعد الانتهاء من تعليمه الثانوي، ذهب إلي لايبزيغ (ألمانيا) في عام 1875، أين توجد أشهر جامعة في الفيلولوجيا في ذلك الوقت، وقد كانت مقرا لحركة عرفت باسم "مدرسة فقهاء اللغة الجدد"، وهي حركة ذات نزعة تاريخية مقارنة، استفاد منها (سوسير) كثيرا في أفكاره وآرائه. ثم رحل إلي برلين وبعد ذلك إلي باريس.

وفي سنة (1877م) ونشر مقالا مستلا من مذكرته عن "النظام البدائي لحروف اللين في اللغات الأوروبية والهندية"، أكد على أهمية البحث في المشكلات المنهجية التي تعوق مجال الدراسات اللغوية، والتي تتسبب في اضطراب وعدم استقرار نتائج البحث في الحقل اللغوي. وبعد عامين قدّم أطروحة الدكتوراه، عنوانها: "استخدام حالة الإضافة في اللغة السنسكريتية"، وقد حصل عليها بامتياز. وعمل بعد ذلك في باريس لمدة عشر سنوات، أين درّس اللغات الأوروبية في "المدرسة التطبيقية للدراسات العليا/ l'Ecole Pratique des

"Hautes Etudes"، بالإضافة إلى نشاطه في "جمعية باريس اللغوية / (Société de linguistique de Paris)، مما كان له إسهامه في إنشاء جيل جديد من علماء اللسان الفرنسيين لم يكن موجودا قبل مجيئه.

وفي عام (1891م) عاد إلى سويسرا، ومُنح هناك في جامعة (جنيف) كرسي الأستاذية للغة السنسكريتية والنحو المقارن، وفي عام (1906م) خلف في كرسي "اللسانيات العامة / La chaire de linguistique générale" زميله (جوزيف وريشيمر / Joseph Wersheimer) إثر تقاعده، ومن ثمّ ألقى ثلاث مجموعات من المحاضرات كان تاريخها علي النحو التالي: 1907-1906 و 1910-1909 و 1911-1910، ولم يجمع هذه المحاضرات في كتاب ولم ينشرها.

وبعد وفاته، أقدم كل من (شارل بالي/ Charles Bally)، و(ألبرت سيشيهاي/ Albert Sécheaye)، على الاجتهاد في أن يؤلفا من المحاضرات التي سجلها، وملاحظات سوسير القليلة التي سجلها بنفسه، وقد نشرا ذلك بمساعدة "ألبرت ريدلنجر / Albert Riedlinger) في عام (1916م) تحت عنوان: "محاضرات في اللسانيات العامة(1).

2. تأثيرات في فكر سوسير:

من الصّوروي أن نعرف الخلفية العلمية والمنهجية لنظرية دي سوسير اللغوية، حتّى لا ينحصر الانطباع في أنّ اللسانيات الحديثة قد بدأت من لا شيء مع دي سوسير وهي فكرة لا يبردها إلا القليل-.

ففردينان دي سوسير بالنسبة لمعاصريه مؤلف «البحث الصغير» (mémoire)، وقد تربى بين أحضان علم اللغة التاريخي-المقارن في ألمانيا، فكان خبيرا بمضامين مدرسة

¹ جدير بالذكر أن مذكرات الطلبة نفسها لم تكن متاحة للقراء حتى عام (1967م)، إذ في ذلك الوقت بدأ

[رودلف إنجلر / Rudolf Engler] في نشرها وتقديمها لجمهور القراء.

ينظر:

- Georges Mounin, La linguistique du 20e siècle, Paris, P.U.F, 1975.

النحاة الجدد ومناهجها.

وعرف سوسير أعمال (بودوان دي كورتيني) و(كروزيوسكي)، وقدرهما تقديرا كبيرا، وأسف لأنهما لم يُعرفا في أوروبا الغربية إلا معرفة ضئيلة. فمن هنا يتبين تأثره باللغويين البولنديين، من ذلك على سبيل المثال تناوله لمفهوم الفونيم على أنه وحدة النظام اللغوي متأثرا بنظرة (بودوان) للجانب الاجتماعي إلى جوار الجانب الفردي للغة.

كما تأثر بعالم الدراسات الهند-أوروبية (وايتني/whitney)؛ حيث إنّ هناك تطابق واضح في المضمون، وبخاصة في فهم اللغة على أنها نظام علامات، والعلاقة بين الفرد والجماعة وبين اللغة والفكر. وقد ثبت أن سوسير عرف تصورات نظرية لوايتني، إذ يذكره في "الدروس" في ثلاثة مواضع، وكان قد ترجم عملاه: اللغة ودراسة اللغة/ language and (life of language)، و (حياة اللغة ونموها/ life and growth of language).

وتوجد تأثيرات مباشرة من أفكار ومناهج تشكل العصر على نحو معين، ففي تاريخ علم اللغة يمكن للمرء أن يتعرف علم النفس على أنه ذلك العلم الأساسي. وتؤدي علوم البنية دورا، كما تلقى سوسير من علم الاجتماع بوجه خاص الفرنسي في صياغة (إميل دوركايم). حيث نقل عنه خواص المجتمع مقابل مجموعة من الأفراد، وتعكس ثنائية اللغة والكلام، كما أنّ هناك اتفاق في الثنائية المفهومية "التزامن-التعاقب"، مع علم الاجتماع الثابت وعلم الاجتماع المتحرك.

لقد وُجدت بحوث لغوية واجتماعية -في القرن 19م- أثرت في سوسير تأثيرا شديدا.

3. مفهوم اللسانيات:

نصّ دي سوسير على أنه ليس من السهل إعطاء تعريف شامل وأكد لللسانيات⁽¹⁾، والعلماء في العصر الحديث يعرفونها بأنها علمٌ يدرس «اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم

¹ Ferdinand DE SAUSURE, cours de linguistique générale : P15.

على الوصف ومعاينة الواقع بعيدا عن النزعات التعليمية والأحكام المعيارية»⁽¹⁾، فتعرض للغات البشرية كافة من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم، وتدرس اللغة بعيدا عن مؤثرات الزمن والتاريخ والعرق⁽²⁾، دراسة علمية ووصفية⁽³⁾.

والدراسة العلمية تعني البحث المعتمد على الأسلوب العلمي وفق المقاييس التالية⁽⁴⁾:

- ملاحظة الظاهرة والتجريب عليها والاستقراء المستمر.
- الاستدلال العقلي والعمليات الافتراضية والاستنتاجية.
- استعمال النماذج والعلائق الرياضية للأنساق اللسانية مع الموضوعية المطلقة.

4. موضوع اللسانيات:

تطرق [دي سوسير] في الفصل الأول إلى نظرة عن تاريخ اللسانيات، واتبعه في الفصل الثاني بالحديث عن مادة اللسانيات ومهمتها وعلاقتها بالعلوم الأخرى. حيث يقول: «إنّ مادة اللسانيات تشمل كلّ مظاهر اللسان البشري سواء أعلق الأمر بالشعوب البدائية أو الحضارية، أو بالعصور القديمة أو بعصور الانحطاط»⁽⁵⁾، ومن هنا؛ لا توجد لغة واحدة يمكنها أن تكون مادة لللسانيات، فهناك ما لا يقلّ عن ثلاث آلاف (3000) لغة أو لهجة منتشرة أو مستعملة في أنحاء العالم إضافة إلى "الاسبرانتو"⁽⁶⁾.

فهي تهتم بدراسة اللغة سواء كانت مكتوبة أو منطوقة، كما تهتم باللغة الحية والميتة على السواء، فهي لا تفاضل بين لغة وأخرى، ولا بين لغة ولهجة لأنها في نظر اللسانيات هي وظيفة الاتصال بين الناس.

¹ أحمد قدّور، مبادئ اللسانيات العامة، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008. ص15.

² مازن الوعر: قضايا أساسية في اللسانيات، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988م، ص: 10-12.

³ حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002. ص9.

⁴ ANDRÉ Martinet, Eléments de linguistique générale, ARMAND COLIN; Paris, 1980. P 6.

⁵ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ص122.

وينظر: Ferdinand DE SAUSURE, cours de linguistique générale: P13.

⁶ لغة عالمية ابتكرها اللساني اليوناني (زامنهوف) سنة 1887.

ودارس اللغة يحتاج إلى مادة لغوية معيّنة يعود إليها ويعتمدها ليحلل اللغة من خلالها، ويمكن التمييز بين المدونة (corpus) والحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة (intuition linguistique):

أ- **المدونة**: تتكون من مجموعة جمل يفهمها متكلم اللغة التي يرغب الباحث اللساني في دراستها، وتحتوي في الواقع على عينات من اللغة، تُستقرأ القواعد من خلالها⁽¹⁾.

وتخضع المدونة -لكي تُعتمد في البحث اللغوي- لبعض المواصفات الأساسية، منها:

- تكون المدونة صفة تمثيلية كافية (موسّعة تعطي الباحث فكرة تقريبية واضحة عن تواتر العناصر اللغوية).

- تكون نصوص المدونة متماسكة وصادرة عن شخص واحد، وباستطاعة جميع الأفراد الذين يتكلمون اللغة ذاتها أن يفهموها (يكون الفرد الذي يوفر المدونة طبيعياً بالنسبة إلى مجتمعه اللغوي).

- تكون شروط التسجيل عادية وطبيعية، دون ظهور أي تصنع.

- يقوم الباحث من وقت إلى آخر بتسجيلات إضافية، يتأكد من بعض المعطيات اللغوية عن طريق أسئلة بهدف توسيع المدونة، كما يلجأ إلى سؤال أفراد آخرين ليتأكد بصورة أفضل من معطياته اللغوية.

- الباحث اللساني يمكنه اعتماد كمدونة تسجيلاً صوتياً لمتكلم اللغة، أو بعض المقاطع لكتاب كُتب في هذه اللغة (عينات تمكّن الباحث من القيام بدراسة لغوية).

ب- **الحدس اللغوي**: يحدّد تشومسكي موضوع النظرية اللغوية بالإنسان المتكلم المستمع السوي التابع لبيئة لغوية متجانسة تماماً والذي يعرف جيّداً لغته. فهو من هذا المنطلق، يعتبر متكلم اللغة موضوع دراسة اللغة، وأيضاً مصدر اللغة عندما يستعمل معرفته للغة في أداءٍ كلامي (يوجد ترابط بين المادة اللغوية، وبين معرفة الإنسان بلغته).

فالحدس اللغوي جزء من كفاية الإنسان اللغوية؛ أي معرفته الضمنية بقواعد لغته،

¹ ANDRÉ Martinet, *Éléments de linguistique générale*: P 30.

وهو في الوقت نفسه يكون القواعد التي يرغب الباحث في دراستها.

إن موضوع اللسانيات هو اللغة باعتبارها نظاما للتواصل الإنساني سمعيا بالدرجة الأولى، وبصريا بالدرجة الثانية⁽¹⁾، ويشمل هذا « كل النشاط اللغوي للإنسان في الماضي والحاضر، يستوي في هذا الإنسان البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحة أو لحن، أو جودة أو رداءة...»⁽²⁾، بتسجيل النصوص ورصدها وملاحظتها ودراستها دراسة وصفية تحليلية تتناول جوانبها المختلفة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ومعجمية.

5. أهداف الدراسة اللسانية:

يمكن أن نجمل أهداف اللسانيات فيما يلي:

- معرفة أسرار اللسان البشري باعتباره ظاهرة عامة، ومشاركة بين جميع أفراد البشر.
- الكشف عن القوانين الضمنية التي تتحكم في البنية الجوهرية للغة.
- وضع قواعد كلية تشترك فيها كل اللغات من خلال معرفة الخصائص الصوتية والصرفية والتركيبية لكل لسان.
- اكتشاف الخصائص العلمية التلفظية، وحصر العوائق العضوية والنفسية والاجتماعية التي تحول دون اكتمال عملية التواصل اللغوي⁽³⁾.

6. مجالات اللسانيات:

تخوض الدراسة اللسانية في مجالات مختلفة من اللغة البشرية، منها ما يتصل بمستوياتها، ومنها ما يتصل بحياتها في المجتمعات، يمكن إجمالها فيما يلي⁽¹⁾:

¹ تمام حسان، الأصول، ص 256. وينظر:

ANDRÉ Martinet, *Éléments de linguistique générale*: P 8.

² رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ص 07.

³ حسني خليل، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، مطبعة أنفو-برانت، فاس. ص 16.

- دراسة الوحدات الصوتية المكونة للغة، ويمرّ ذلك بالضرورة بتشريح جهاز النطق، للوقوف على مخارج الأصوات وتحديد الأعضاء المؤثرة فيه، ومن ثمة يتأتى تقسيم الأصوات الإنسانية إلى مجموعات وفق خصائص معينة، ودراسة الظواهر الصوتية المصاحبة للنطق من نبر وتنغيم.. واكتشاف القوانين المتحكمة في ظواهر إبدال الأصوات...
- دراسة بنية الكلمة واشتقاقها وتصريفها والبحث في قواعد تغيير الأبنية للحصول على المعاني المختلفة.
- دراسة النظم المتحكمة في ترتيب أجزاء الجمل، وطريقة ربط بعضها ببعض، وأثر كلّ جزء منها في الآخر.
- دراسة دلالة الألفاظ بتتبع التطور الذي يلحق معانيها والعوامل التي تسهم في ذلك، ومعرفة الحقيقي منها والمجازي والعلاقة التي تجمعهما، ومعرفة أسباب جنوح الألسن إلى الترادف والتضاد والاشتراك اللفظي...
- دراسة حياة اللغة في تطورها واندثارها، والصراع الذي ينشأ بين اللغات في المجتمعات البشرية.

7. جهود العلماء في توحيد مصطلح اللسانيات:

يعد مصطلح اللسانيات الذي يطلق عليه الغربيون اسم (Linguistique) أو (Linguistics) حديث العهد بالنسبة للعلوم الإنسانية الأخرى، إذ لم يفصل حتى منتصف القرن الماضي في تموقع هذا العلم من الجانب التاريخي، بحيث ظهر هذا المصطلح أول ما ظهر في ألمانيا، ثم استعمل في فرنسا ابتداء من سنة 1826، ثم في إنكلترا عام 1855. وقد عُرف الغرب بأنهم أهل صناعة، أنتجوا في مجال المعرفة اللسانية مصطلحات متشابهة في موادها المعجمية إلى حدّ التطابق؛ فقد سميت هذه المعرفة اللسانية في أمريكا

¹ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة: ص 10-12.

وإنكلترا (linguistics)، وفي فرنسا (linguistique)، وفي إيطاليا (linguistica) وفي ألمانيا (linguistika).

أمّا العرب، فقد انتصروا لنظرة قومية ضيقة، أو لمجد فردي أنتجوا بموجب ذلك مصطلحات متباينة أربكوا بها القارئ العربيّ وصعبوا عليه إمكانية الإفادة من هذه المعرفة وتمثل مضامينها.

وبالنسبة للسانيات العربية، فإن الإشكال نابع من صعوبة نقل المعرفة اللسانية ومصطلحاتها إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة والنقل، وتتجلى مظاهر ذلك من خلال ما بذل من جهود في المشرق والمغرب من أجل التعرف على اللسانيات والإحاطة بها وبنظرياتها ومناهجها، ويمكن إجمالها في ما يلي:

أ- جهود المشاركة: استقبل المشاركة المعرفة اللسانية عن الغرب واجتهدوا في التعامل معها والسعي إلى احتواء مفاهيمها، ويبدو ذلك من خلال ما أعدوه من تراجم لمصطلح (Linguistique) بالفرنسية و (Linguistics) بالإنكليزية؛ إذ اصطلح عليهما باسم علم اللغة، وفقه اللغة، فقه اللغة المقارن، علم اللهجات، النحو المقارن، اللغويات...

ب- جهود المغاربة: احتضن أهل المغرب المعرفة اللسانية وحاولوا الإفادة منها بالنقل والترجمة فُعِبَر عنها في تونس بالألسنية وفي المغرب الأقصى باللسانيات وفي الجزائر باللسانيات، فلم يكن أهل المغرب بأحسن حال من أهل المشرق حيث اختلفت مصطلحاتهم من بلد لآخر.

ولبيان مدى تأصيل الغرب لمصطلحاتهم ينبغي أن نقوم بتفكيك وتحليل المكونات والعناصر التي يتكوّن منها هذا المصطلح، وعليه فإن مصطلح (linguistics) بحسب المنهج التفكيكي يتكوّن من ثلاث وحدات؛ الجذر المتمثل في لفظة (lingua) وهي كلمة لاتينية قديمة معناها اللسان، وتطوّرت هذه اللفظة وطراً عليها تغيرات صوتية إلى أن استقرت في اللغة الفرنسية على صورة (langue)، ومن لاحقتين؛ الأولى (c) وتقابلها في

اللغة العربية (ية) وهي لفظ (morphème) لأنها تدل على بعدين (منهجي وعلمي) وتقابل المصدر الصناعي في اللغة العربية (اللسانية) وأما الوحدة الثالثة فهي (s) وهي وحدة مورفولوجية دالة على الجمع وتقابل الوحدة الصرفية العربية (ات) الدالة على جمع المؤنث السالم.

إن مصطلح اللسانيات روج له اللساني الجزائري [عبد الرحمن الحاج صالح] ودافع عنه حتى حسم الأمر سنة (1978م) في ملتقى بتونس الذي أوصى باعتماد مصطلح اللسانيات في العالم العربي، ومنذ ذلك التاريخ وظفه اللسانيون في تونس المغرب الأقصى في كتاباتهم، وكذا الشأن في بعض بلاد المشرق كسوريا والعراق...

إجمالاً، فإن مصطلح اللسانيات قد احتلّ موقعا في الأبحاث اللسانية العربية بفضل مميزاته المتمثلة في كون لفظه (اللسان) كلمة عربية فصيحة حين بجلها القرآن بالذكر ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء/195)، وما يزيد من أهمية المصطلح هو قالبه الصرفي الذي صيغت فيه الترجمة، إذ هو ميزان صرفي تعود أصوله إلى العصر الجاهلي، فاللسانيات هي بزنة فعاليات وفاعليات، إذ يُروى أن رجلا في العصر الجاهلي اشتهر بصناعة القسي اسمه ماسخة، فصار يعبر عنها منسوبة إلى صانعها فقليل (الماسخيات) وهو ما يؤكد أصالة المصطلح خلافا لمن ادعى أنه دخيل. وقد اجتمعت هذه المحاسن؛ فصاحة اللفظة، حلاوة القالب الصرفي، الدقة في استخدام الوحدات المورفولوجية المضافة إلى وحدة اللسان بالإضافة إلى استئناس الذوق العربي الحديث بمثل هذه القوالب والاطمئنان إليها حين تعاملوا مع مصطلحات أخذوها من اللغة الإنكليزية بالمنطق نفسه فعبروا عن مصطلح (mathématiques) بالرياضيات ومنها الصوتيات والبصريات...

المحاضرة الرابعة

اللسانيات الحديثة

(مفهومها / موضوعها / مجالاتها) 2

عناصر المحاضرة:

- تمهيد

1- مفهوم النظام

2- اللفظة واللسان والكلام

3- الآنية والزمانية

4- الدال والمدلول

5- التركيب والاستبدال

- تمهيد:

تعددت الإشارات إلى ولوع دي سوسير للبحث عن لزوم التناقض في اللغة وجرت العادة أن يتخذ الحديث عن دي سوسير شكل قائمة من المقابلات بين أزواج من المفاهيم وعد مجرد عرض تلك المقابلات ملخص لنظريته فمنذ (1938م) أشار جاكسون إلى دي سوسير على أنه أهم من كشف القناع عن التناقضات اللغوية، ولم تكن هذه الثنائيات مجرد الجمع بين مفاهيم مبعثرة، بل كان دي سوسير واعيا بها كل الوعي وقد اهتدى إليها إثر تأمل عميق وتصور شامل للظاهرة اللسانية، حيث يقول: "يمكن أن نلخص اللسان في خمس أو ست ثنائيات أو أزواج من الأمور" ويعتبر البحث عن هذه الثنائيات وتفسير مفاهيمها من أجل مهام الألسني، ذلك أن هذه الثنائيات ليست تقابلات مجردة في الأشياء ذاتها ولا توجد أطراف تلك الثنائيات مستقلة، بل هي وثيقة الصلة بعضها ببعض، حيث يقول: "وعلاوة على ذلك ومهما يكن الجانب الذي نباشر منه اللغة، فإنها تمثل على الدوام وجهين يتطابقان وليس لأحدهما قيمة إلا بالآخر".

- مفهوم النظام:

بالنسبة لسوسير، فإن مفهوم الكلمة غامض وضبابي، يستبدلها برمز العلامة. والهدف الحقيقي للسانيات البنوية هو الدراسة الداخلية والمتزامنة لأنظمة العلامات التي تشكل حالات اللسان⁽¹⁾.

وبالتالي، فإن اللسان هو نظام من العلامات، أي مجموعة من الوحدات التي يتحد بعضها مع بعض وفق القواعد، وليس للعلامة قيمة إلا بمقابلتها للعلامات الأخرى في النظام. بالنسبة إلى دي سوسير، لا يمكن تحديد وحدة بشكل مستقل عن الوحدات الأخرى للنظام الذي تنتمي إليه، ما يحدد هذه الوحدة هو المكان الذي تحتله في النظام، أي العلاقات التي تعدها، داخل هذا النظام، مع الوحدات الأخرى.

¹ ينظر: كارل ديتربونتج، المدخل إلى علم اللغة: تر/ سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة. ط1، 2003. ص40.

إنّ قيمة الوحدة اللسانية ليست في ذاتها، ولكن من خلال نظيرتها من وحدات النظام الأخرى. لشرح هذه الفكرة ، يقارن سوسور بين كلمتين: كلمة (*Mouton*) الفرنسية، وكلمة (*sheep*) الإنجليزية، بالنسبة إليه، هاتان الكلمتان لهما المعنى نفسه، ولكن ليس القيمة نفسها في كل نظام: ففي الفرنسية كلمة (*Mouton*) تطلق على الحيوان (الضأن) وعلى لحم الضأن، في حين في الإنجليزية ، وكلمة (*sheep*) تطلق على (الغنم)، و (*mutton*) على لحم الضأن.

كذلك الحال عندما نتحدث عن قيمة الجمع: في الفرنسية يعني اثنين فأكثر، في حين في العربية يبدأ من ثلاثة، والاثنين هو للمثنى.

1- اللغة واللسان والكلام (*Langage, Langue et Parole*):

شرح فرديناند دي سوسير في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" مفاهيم أساسية للسانيات، وفرّق بين ثلاثة جوانب: اللغة (*Langage*)، واللسان (*Langue*)، والكلام (*Parole*)، التي اكتسبت صبغة عالمية في اللسانيات الحديثة.

فاللغة هي الكليّة المشتركة بين البشر، وهي النظام العام للسان، وتضمّ كلّ ما يتعلّق بكلام البشر، وتتكوّن من ظاهرتين مختلفتين: اللسان والكلام؛ يقول دي سوسير: "لا بد من التمييز وعدم الخلط بينها وبين اللسان... وهي في وقت واحد نتاج اجتماعي لمملكة اللسان، وتواضعات ملحة ولازمة يتبنّاها الجسم الاجتماعي لتسهيل ممارسة هذه الملكة لدى الأفراد"⁽¹⁾.

واللغة تتميز بتعدّد جوانبها وتغيّر خواصها؛ لأنّها تمتدّ في غير اتّساق على أصعدة مختلفة في آن واحد: منها الفيزيائية، والفيزيولوجية، والسيكولوجية، فهي تنتمي إلى الفرد (الكلام) وإلى المجتمع (اللسان) في الوقت نفسه، ومن ثمة يقسم اللغة إلى لسان وكلام.

فاللغة هي نتاج اجتماعي للجماعة اللغوية ومجموعة من الاتفاقيات الصّورية، التي

¹ فرديناند ده سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص 21.

اعتمدها الجماعة للسماح للأفراد بممارستها. والكلام خاص بالفرد، إنّه " فعل فردي يخضع للإرادة والذكاء"، ويشير إلى الفعل الذي يستخدم فيه المتكلم اللغة للتواصل مع أفراد جماعته(1).

ووفقا لسوسير؛ فإنّ فصل اللسان عن الكلام هو بمثابة فصل ما هو اجتماعي ممّا هو فردي، ما هو ضروري ممّا هو ملحق، مع ملاحظة الاختلاف الموجود في طبيعة هذين الجانبين من اللغة(2). ومنه يمكننا الجزم أنّ اللسان هو مجال التحليل اللساني في البنيوية السوسورية.

ومن الضّروري أن ننوّه هنا إلى أنّه من الصعب التمييز بين ما هو اجتماعي وما هو فردي؛ لأنّ كلّ شيء اجتماعي في اللسان؛ فطريقة نطق الفرد تعتمد إلى حدّ كبير على الظروف الاجتماعية التي تعلم فيها اللغة ويستخدمها. بمعنى آخر؛ اللسان والكلام هما نتاج التنشئة الاجتماعية.

كما اللسان في نظر دي سوسير واقعة اجتماعية؛ أي أنّه مجموع كلّ متكامل كامن موجود في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين، ويشبّهه بالقاموس الذي يمثّل ذاكرة جماعية لما يتحوّل من علامات لا يطبق الفرد الواحد أن يخترنها في دماغه، وذلك بقوله: "عن اللغة توجد على شكل مجموعة من السمات المستودعة في دماغ كلّ عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم تقريبا، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد"(3). فاللسان كنز اجتماعي مكوّن من الوحدات والقوانين يمثّل نظاما عاما لا يمكن للفرد أن يحدد عنه.

لذا فإن موضوع اللسانيات هو اللسان بكلّ جوانبه النحوية والصوتية والمعجمية المرتسمة في عقول جميع الناس؛ أي كلّ ما يعرفه الناس عن لغتهم وليس ما يتفوهون به.

¹ فردينان ديه سوسير، محاضرات في الألسنية العامة: ص32.

² فردينان ديه سوسير، محاضرات في الألسنية العامة: ص32.

³ أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور: ص129.

أمّا الكلام فهو فعل كلامي ملموس، ونشاط شخصي مراقب يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد أو كتاباتهم، كما أنه مطابق لمفهوم الأداء (*Performance*)، وقد عرّفه دي سوسير بأنه مجموع ما يقوله الأفراد، ويشمل أنساقاً فردية خاضعة لإرادة المتكلمين، فهو أفعال فونولوجية إرادية وضرورية وهو ليس وسيلة جماعية، وتكون مظاهره فردية ووجيزة للغاية ولا توجد فيه إلا مجموع الأفعال الخاصة. كما أنّ دراسة الكلام تفيد كثيراً في بعض الحالات كالحبسة وتحليل الخطاب والأمراض العقلية والنفسية⁽¹⁾.

إن التمييز بين اللغة والكلام له أهمية كبيرة في اللسانيات والفروع المعرفية الأخرى، وعلى كل علم من هذه العلوم أن يتناول بالبحث والدراسة الوجهة التي تتماشى والمبادئ العامة التي بني عليها.

وإذا كان دي سوسير قد نادى إلى استقلال اللسانيات في بداية القرن العشرين، وختم محاضراته قائلاً: " إن موضوع اللسانيات الوحيد والحقيقي هو دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها"⁽²⁾، فإنّ اللسانيين في أواخر هذا القرن قد ربطوا اللسانيات ببعض العلوم الأخرى؛ كعلم الاجتماع (دوركايم) وعلم النفس (فرويد) والبيولوجية والفلسفة والرياضيات وأخذوا يراجعون مواقفهم المعادية للفيلولوجيا والنحو التقليدي.

2- الآنية والزمانية (Synchronie et Diachronie)

يميز سوسير بين نوعين من المقاربات اللسانية: التزامني والزمني⁽³⁾، و"ستعامل واللسانيات التزامنية مع العلاقات المنطقية والنفسية التي تربط المصطلحات التي تتعايش وتشكل نظاماً، حيث يتم إدراكها من قبل الوعي الجماعي نفسه، من ناحية أخرى، ستدرس اللسانيات الزمانية العلاقات التي تربط المصطلحات المتتالية التي لا يدركها الوعي الجماعي

¹ ينظر: محمد عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام: دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص18.
Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique ET DES sciences du langage ; Larousse - Bordas/HER ; 1999. P267.

² نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار عنابة، 2006. ص89.

³ فردينان ديه سوسير، محاضرات في الألسنية العامة: ص101.

نفسه، والتي تحل محل بعضها البعض دون تشكيل نظام بينها".

وأعطى سوسير الأولوية لوجهة النظر التزامنية، وهذه الأولوية في الوصف التزامني لها مبرراتها: فيمكن للإنسان أن يتعلم لغة ما مع تجاهل تاريخ هذه اللغة؛ فلا يدرك جميع المتحدثين الأبعاد التاريخية للغة، والشخص الذي يعرف أن "القطار" وسيلة النقل في اللغة الحديثة يأتي من "الناقة التي تقطر الجمال" لا يتقن بالضرورة اللغة العربية أفضل من الشخص الذي لا يعرفها، هذا يرقى إلى القول بأن الاعتبارات غير المتزامنة لا علاقة لها بالأداء الطبيعي للغة. في بيان واحد، نستخدم مزيجا من العناصر غير المتجانسة للغاية من الكلمات ذات الأصول المختلفة التي دخلت اللغة في أوقات مختلفة ولكنها جزء من اللغة الحالية.

هذا هو السبب في أن سوسير يؤكد أن موضوع اللسانيات هو دراسة العلاقات الداخلية والمتزامنة للغة كنظام من العلامات، وأن اللساني يجب أن يترك الدراسة التاريخية (الدياكرونية) جانبا.

إن التغيير في الاتجاه الذي حدث في بداية القرن العشرين هو تحول من اللسانيات التاريخية التي تهدف إلى معرفة تاريخ اللغات والكشف عن العلاقات الموجودة بينها وإعادة بناء اللغات الأولى إلى ما أصبح يعرف اليوم باللسانيات الآنية (*Synchronique*) التي تعنى بوصف اللغات وتحليلها كما هي في نقطة معينة من الزمن، وكان أول من نظّر لهذا المنهج الجديد اللساني السويسري "دي سوسير".

يتكوّن مصطلح (*Synchronique*) من (*Syn*) بمعنى (في) و(*chronique*) بمعنى (الزمن) كما يطلق على هذه الشعبة من اللسانيات أيضا اللسانيات الوصفية، وتعنى بدراسة اللغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معينين، وذلك بوصف مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية بطريقة علمية.

يقابل مصطلح اللسانيات الآنية مصطلح اللسانيات التاريخية أو التطورية

(*Linguistique Diachronique*) ويتكوّن هذا المصطلح من (*Dia*) بمعنى (عبر) و(*chronique*) بمعنى (الزمن)، ويعني دراسة اللغة عبر الزمن.

كانت اللسانيات السائدة في ق (19م) هي اللسانيات التاريخية (الدياكرونية)، ولم يكن هناك تمييز واضح بين الدراسة الآنية والدراسة الزمنية، غير أن اللسانيات الآنية تدرس اللغة دراسة وصفية في حالة معينة (*Etat de langue*) أي في نقطة زمنية معينة، لا تقتصر هذه الدراسة على اللغات الحديثة أو المعاصرة بل يمكن أن تدرس اللغات الميتة شريطة أن تتوفر على المعطيات اللغوية التي تبنى عليها الدراسة العلمية، أما اللسانيات الزمانية، فتتناول بالدراسة التغيرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزمن أو خلال حقبة متتابعة في الزمن الماضي.

وبلا شك، فإن كلا المنهجين مهم في الدراسة اللغوية وينبغي فقط عدم الخلط بينهما عند البحث إذ لكل منهما مبادئه الخاصة، فالمنهج الآني منهج استقرائي ساكن والمنهج التاريخي منهج حركي تطوري، والمؤكد أن دي سوسير لم يرفض البتة اللسانيات الزمانية، ولم تعدها شيئاً ثانوياً ولكنه ألح فقط على الفصل بينهما.

حسب دي سوسير، فإن اللسانيات الآنية تعنى بالعلاقات النفسية والمنطقية التي تربط مفردات متواجدة معا وتشكل نظاما في العقل الجماعي للمتكلمين، وعلى العكس تماما فاللسانيات الزمانية تدرس العلاقات التي تربط المفردات المتعاقبة التي لا يدركها العقل الجماعي والتي يحل بعضها محل البعض الآخر دون تشكيل أي نظام يذكر⁽¹⁾.

ولتوضيح الفرق بينهما بشكل أفضل استعان دي سوسير بمثال دراسة نبات ما، فالدراسة الآنية مثلها مثل الشريحة المقطوعة قطعاً عرضياً، حيث نلاحظ على سطح المقطع رسماً معقداً لا يمثل إلا منظوراً للألياف الطولية، والدراسة الزمانية يمثلها المقطع الطولي الذي يظهر لنا الألياف نفسها التي تشكل النبات، ولكن قد تتفرع هذه الألياف مرة وتختفي مرة أخرى.

¹ فرديناند ده سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص102.

أما الدراسة العرضية فتبين العلاقات القائمة بين الألياف وترتيبها الخاص على مستوى معين، وفي الواقع أن الشريحة العرضية هي التي تمكننا من المعرفة الدقيقة للبنية النباتية في مرحلة خاصة من النمو، وذلك بمقارنة مختلف الأجزاء وعلاقة بعضها ببعض، وهكذا يجب أن تكون الدراسة الآنية حيث يكون التركيز على تناسق الأجزاء وترابطها⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى فقط وضح دي سوسير العلاقة بين اللسانيات الآنية والزمانية باستعمال لعبة الشطرنج كمثل حي، ما يهمننا في هذه اللعبة ليس نشأتها أو تاريخها كانتقالها من إيران إلى دول أخرى وليس كل التحركات السابقة للبيادق منذ بداية اللعبة لأنها لا تغير شيئاً من الأمر الواقع. بل ما تهمننا فعلاً هو موضع البيادق في اللحظة الحالية وعلاقتها ببعضها بعض، حيث ترتبط قيمة البيدق بموقعه على الرقعة، وكذلك الحال بالنسبة للغة إذ تستمد كل مفردة منها قيمتها من خلال مقابلتها مع باقي المفردات الأخرى⁽²⁾.

وعلى الرغم من هذا التشابه فقد أكد دي سوسير على نقطة واحدة تكون فيها المقارنة ضعيفة، فلاعب الشطرنج يعتمز إحداث النقلة، لكن بيادق اللغة تنتقل أو تتغير بطريقة عرضية. وعليه، فكي تشبه لعبة الشطرنج اللغة ينبغي أن نفترض لاعبا غير واع وغير ذكي.

ونستخلص من كلامه أن اللغة لا تتحكم فيها قوانين ثابتة، بل إن هناك قوة عمياء تدفع بالوقائع اللغوية في أي اتجاه لتولد نظام مغاير من العلامات. ويبدو أن التغير اللغوي لا يتم دائماً بطريقة عفوية، بل يسير أحياناً في اتجاه معين حسب قوانين ثابتة وإن كانت هناك بعض الاستثناءات وفي هذا الخصوص يقول (سامبسون) (*Sampson*) يجب أن لا ننظر إلى لعبة الشطرنج وهي تمارس من طرف لاعبين، أحدهما يحرك بيادقه بطريقة عمياء والآخر بطريقة ذكية راصداً للتحركات العشوائية.

¹ فردينان ديه سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص 110.

² فردينان ديه سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص 110.

4- الدال والمدلول:

انطلق دي سوسير في تحديده للغة من اعتبارها مصطلحا عليها، وحددها بكونها نظاما من العلامات، ففي مستوى الكلام يلاحظ أنّ موجات صوتية تحدث في السّامع انطباعات دلالية وأنّ هذه الانطباعات يُعبّر عنها المتكلم بإصدار موجات صوتية، وحسب دي سوسير، فإنّ الصّوت لا يمثّل شيئا إلّا في حدود اقترانه بالمعنى، وعملية التّلفظ مزدوجة ذات وجهين؛ وهو ما أسماه بـ: **الدليل اللساني** الذي يتكوّن من الجمع بين عنصرين اثنين غير ماديين هما:

✓ **الصّورة الصّوتية (الأكوستيكية *Image acoustique*):** هي الأثر النّفسي الذي يحدثه الصّوت في الذّهن (الدال).

✓ **الصّورة الذّهنية (المفهوم *Concept*)** وهي المدلول.

والدال والمدلول أمران مجردان ليس لهما وجود إلّا في ذهن المتكلم والسّامع، وعليه فإنّ الدليل اللساني لا يجمع بين اسم وشيء، بل بين صورة أكوستيكية ومتصوّر ذهنيّ، وهما متّصلان مثل وجهي الورقة. وليست الصّورة الأكوستيكية هي الصّوت المادي؛ أي ذلك الأمر الفيزيائي المحض بل هي الأثر النّفسي لهذا الصّوت، أي الصّورة التي تُصوّرُها لنا حواسنا وهي صورة حسّية، ويظهر الطابع النّفسي للصورة الأكوستيكية بصورة جليّة عندما يتأمّل المرء كلامه الشّخصي إذ بإمكانه أن يناجي نفسه من دون أن يحرك شفّته أو لسانه(1).

يخضع الدليل اللساني إلى مبدئين أساسيين هما: **الاعتباطية والخطية.**

فالدليل اللساني ذو طبيعة الاعتباطي، والعلاقة بين الدال بالمدلول تُستمدّ من التّواضع والاصطلاح، فلا توجد علاقة داخلية بين التّصور الذهني أو المفهوم «أخت» مثلا، وتسلسل الأصوات التي تمثّله [أ] + [خ] + [ت] التي تقوم له دالا، ويمكن أن تمثّله أيّة

¹ فردينان ديه سوسير، محاضرات في الألسنية العامة: ص 88.

مجموعة أخرى من الأصوات، ويؤيد ذلك اختلاف تسمية الأشياء من لغة إلى لغة للمدلول نفسه: أخت (عربية)، *soeur* (فرنسية)، *Sister* (إنجليزية)، *Storila* (إيطالية). فالأخت هي الأخت في كل مكان، وما يعطي الكلمة دلالتها هو مكانها في نظام اللغة⁽¹⁾.

أما الخطية: فتتعلق بالدال أي الصورة الصوتية، ذلك أنها تتوزع وفق عناصر (أصوات) متتالية ومتعاقبة في الزمان على غرار النقطة التي يتكوّن منها الخط، ولما كان الدال ذا طبيعة سمعية فإن له امتداد في الزمن، ويمكن أن يقاس هذا الامتداد من حيث بُعد واحد هو الخط⁽²⁾، وهذا المبدأ على بساطته أساسي لا تُحصى نتائجه، وإليه تخضع أولية اللغة كاملة، فخلافاً للدوال المرئية (العلامات الإشارية) مثل الإشارات البحرية التي تمثّل تشعبات متزامنة ذات أبعاد متعدّدة فإنّ العلامات اللسانية ليس لها ما تتصرّف فيه عدا خط الزمن، فتأتي عناصرها الواحد تلو الآخر مكونة بذلك سلسلة وتبرز هذه الخاصية للعيان بمجرد أن ترسم تلك العناصر بالكتابة وتعوض التابع في خط الزمان بالتتابع في خط المكان بوساطة علامات الكتابة.

5- العلاقات التركيبية والعلاقات الاستبدالية

إن العلاقات بين العلامات التي تشكل اللسان -بالنسبة لدي سوسير- هي نوعان:

أ. العلاقات التركيبية (*Relations Syntagmatiques*):

هذه العلاقات القائمة على خاصية الخطية، هي علاقات التتابع والتواصل التي تحكم العلامات في السلسلة المنطوقة، ولها مستويان: مستوى الصوت ومستوى الجملة؛ إذ تضفي كلّ وحدة معنى إضافياً على الكلّ، وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية الأخرى، ولا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معها معاً، وتسمى هذه الأنساق الخطية تركيبياً، ففي هذه الجملة "صار الطقس بارداً" هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات هي: [صار] + [الطقس] + [بارداً]. أمّا على مستوى المفردات،

¹ فردينان ديه سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص 89-90.

² فردينان ديه سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص 92.

فتمثل هذه العلاقات في إدماج بعض الصّوامت في انساق تركيبية حسب القوانين الفونولوجية المتعارف عليها في تكوين مفردات اللّغة كهذه المجموعات من الصوامت: [ص+ ا + ر] التي تعني مجتمعة "صار" ، وفي الخطاب كما يقول دي سوسير: " تكتسب الكلمات علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية بسبب ترابطها فيما بينها مما يستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد"⁽¹⁾.

ب. العلاقات الاستبدالية (*Relations Paradigmatiques*)

تكون العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللسانية التي يمكن أن تحلّ محلّ بعضها البعض في سياق واحد، وهذا يعني أنّ المتحدث ينشئ روابط بين الكلمات في دماغه، وقد أطلق عليها دي سوسير في البداية عبارة الترابطية (*Associative*) على هذه العلاقة. وتتضح العلاقة الترابطية من خلال العبارة التالية: "صار الجوّ صحوا"؛ حيث يكمن أن تستبدل كلمة (أصبح) بـ "صار، كان، أضحى.... وكلمة (الجو) بـ "الأمن، البحر، الطفل. وكلمة (صحوا) بـ "رطبا، مستتبا، هادئا.

أما على مستوى الوحدات التركيبية (المفردات)، فيكون تحديد كلّ صوتم (*Phonème*) بمقابلته بالصواتم الأخرى التي يمكن أن تحلّ محلّه في سياقات مختلفة لتكوين الكلمات، ذلك كاستبدال الحرف الأول ببعض الحروف والإبقاء على الحرف الثاني والثالث كما في هذه المفردات نام، قام، رام، دام. أو استبدال الحرف الثاني من الكلمة بحرف آخر مع الإبقاء على الحرف الأول والأخير من الكلمة كما في هذه الكلمات "عجن، عفن، عان. وهناك علاقات ترابطية أخرى جاء بها دي سوسير بحيث تكتسب فيها الكلمات التي يجمعها شيء مشترك علاقات من نوع آخر، حيث تترايط في الذاكرة مشكّلة مجموعات تميزها علاقات مختلفة، فكلمة (*Enseignement*) (تعليم) تستدعي لا شعوريا إلى الذّهن مجموعة من الكلمات الأخرى «Enseigner» (علم) و " *renseigner* " (أعلم) أو " *Education* "

¹ فردينان ديه سوسير، محاضرات في الألسنية العامة: ص 150.

(تربية) و " *Apprentissage* " (اكتساب)... وهكذا فإنّ كلّ هذه الكلمات تربطها علاقة معينة من جانب أو من آخر (1).

وبعبارة أخرى فإنّ هذه الكلمات " *Enseignement* ، *renseigner* ، *Enseigner* " يجمعها عنصر مشترك هو الجذر، وقد تردّ الكلمات في سلسلة مختلفة مبنية على عنصر مشترك آخر هو اللاحقة " *MENT* " مثل: *Enseignement* ، *Amendement* ، *Changement* ، *Armement* ، كما يمكن أن ينبثق الترابط عن تشابه المدلولات من مثل: *Education* ، *Instruction* ، *Enseignement* ، *Apprentissage* (تربية ، تثقيف ، تعليم ، اكتساب). ويقول دي سوسير أيضا إنّ العلاقة التركيبية حضورية وتقوم على عبارتين أو أكثر في سلسلة موجودة بالفعل، وبالمقابلة فإنّ العلاقة الترابطية تجمع بين عبارات غيابية في سلسلة كامنة في الذاكرة.

¹ فردينان ديه سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص 152-153.

المحاضرة الخامسة عناصر اللسان البشري

عناصر المحاضرة:

1. الطيعة
2. الإبداعية
3. الانتقال اللغوي
4. التحويل اللساني
5. التقطيع المزروع
6. الاقتصاد اللغوي

1. الخطية:

الدليل اللساني ذو طابع متلاحق، يتسلسل في ظهوره بتسلسل الزمن، له بعد واحد يتحرك به في أثناء إحدائه، وهو خط أفقي نسميه في الاصطلاح مدرج الكلام⁽¹⁾؛ أي يرسل ويستقبل بصفة متعاقبة على المحور الزمني، بحيث لا يمكن إحلال وحدتين لسانيتين في الموقع نفسه في مدرج الكلام.

وينسب مصطلح (الخطية) إلى دي سوسير الذي قال إن الإنسان لا يمكنه أن يتلفظ بصوتين في آن واحد، في النقطة الزمانية نفسها، وأن الأصوات تأخذ تسلسلا زمنيا أثناء حصولها في النطق، وكأن هذا التسلسل خطي لا تتكرر فيه الأصوات نفسها في النقطة نفسها، ولا يحصل صوتان في آن في تلك النقطة، بل تأخذ ترتيبا دلاليا وظيفيا وتدرك ضروريا بواسطة السماع⁽²⁾، فعندما نلاحظ ترتيب الفونيمات في كلمة (كلم) فإنه يؤدي دلالة معينة، وترتيبها (لكم) يؤدي دلالة أخرى، و(ملك) يؤدي دلالة مختلفة عنهما، على الرغم من أنها مركبة ثلاثتها من الفونيمات نفسها، اختلفت معانيها تبعا لاختلاف تأليفها وحدثها في الزمن، إضافة إلى أنه لا يمكن نطق الكاف واللام والميم في الوقت نفسه⁽³⁾.

إن اللغة تتميز بصفة الخطية، وبها تبلغ مقاصدها، وأخذت هذه الخطية شكلا آخر غير النطق، وهو الخط المكاني لاعتمادها على الكتابة (العربية والفارسية تكتب من اليمين إلى اليسار، واللاتينية من اليسار إلى اليمين، الصينية واليابانية من الأعلى إلى الأسفل...⁽⁴⁾).

ويميز العلماء بين نوعين من الأنظمة:

¹ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات: دار القصة، الجزائر. ط2، 2006. ص22.

² خليفة بوجادي، اللسانيات النظرية: دروس وتطبيقات، ص40.

³ المرجع نفسه، ص41.

⁴ المرجع نفسه، ص41.

- الأنظمة التي تقع دوالها في الزمان: مثل الموسيقى، اللغة المنطوقة ... تأخذ شكلا خطيا زمانيا في الأصل.

- الأنظمة التي تقع دوالها في الفضاء: مثل الصور الفوتوغرافية. النحت، رسوم الجغرافيا، الإشارات البحرية، وإشارات المرور، وهي جميعا تعبر مكانيا عن دلالتها⁽¹⁾ ويمكن أن تتضافر صور تعبيرها في زمن واحد⁽²⁾.

2. الإبداعية:

القدرة الإبداعية هي قدرة اللغة الإنسانية غير المحدودة، التي تجعل متكلمي اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل التي لم يسمعوها من قبل ولم ينطلق بها سواهم⁽³⁾.

فالإبداعية قدرة ينفرد بها الجنس البشري، لأن نظم الاتصال التي تستعملها الكائنات الحية الأخرى من غير الإنسان ليست لها هذه الخاصية، إذ أن معظم نظم الاتصال التي تملكها بقية الكائنات ذات قدرات محدودة أو مغلقة، فلا تستطيع أن تنقل إلا عددا محدودا ضئيلا من الرسائل الغريزية ذات الدلالة الثابتة، كما لا يستطيع الحيوان أن ينوع أو يكون جملا جديدة.

3. الانتقال اللغوي:

اللغة البشرية المستخدمة في مجتمع معين تنتقل من السلف إلى الخلف، أي من جيل إلى آخر، تظهر كإرث من الماضي أو كاتفاقية مقبولة عند أفراد الجماعة اللغوية، وتنتقل إلى الجيل القادم، "وفي الواقع، ليس هناك من مجتمع إلا ويعرف اللغة أنها نتاج إرث

¹ هناك من يرى أنها تخضع للتسلسل الخطي بحكم أننا ندرك الصورة كلها ثم ننتقل إلى الجزئيات، ونجد من يرى بأنه لا يمكن أن تكون هذه الوحدات خاضعة للتسلسل الخطي لأنه لا تدرك دفعة واحدة.

² خليفة بوجادي، اللسانيات النظرية: دروس وتطبيقات، ص 41.

³ محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004. ص 34.

الأجيال السابقة، كما لا بد من تناولها بما هي عليه"⁽¹⁾. ويمكن انتقالها كذلك من بيئة اجتماعية معينة إلى أخرى⁽²⁾، فاللغة الإنسانية تكتسب وتتعلم، وإن كان الاستعداد لاكتساب اللغة أمرا بيولوجيا فطريا إلا أنه لا بد للطفل من مجتمع يعيش فيه ليكتسب لغته، فإذا عاش منعزلا فلا لغة له على الإطلاق.

4. التحوّل اللساني (le changement linguistique)

يصف دي سوسير العلامة اللسانية بصفتين على طرفي نقيض، إحداها الثبات والأخرى التغيير أو التحول، فالزمن له تأثيران متناقضان على اللسان: التأثير الذي يضمن استمرارية اللسان والآخر الذي يغيّر العلامات اللسانية بشكل أو بآخر⁽³⁾:

- الثبات اللساني: العلامات اللسانية عادة ما تميل نحو الثبات لوجود عوامل تحول دون وقوع التغيير، ف"الثروة المفرداتية الكبيرة والبنية اللغوية المعقدة والجمود الذي يميز اللغة، بالإضافة إلى كون اللغة ملك للجميع، وأن جذورها ضاربة في أعماق التاريخ ونحن ورثناها عن الأجداد، وما علينا إلا تقبلها كما هي"⁽⁴⁾، وكذلك إنّ أكثر الأنظمة صعوبة للتغيير وأشدّها استقرارا هي الأنظمة النحوية نظرا للعلاقات المعقدة التي تربط بين المركبات الكلامية من قوانين الجملة والكلمة، ويفسّر مارتينه الأمر بقوله: "إنّ البطء الذي نلاحظه عامة في تطوّر اللغات ناجم ، بصورة أساسية، عن ضرورة المحافظة على إمكانية التفاهم المتبادل"⁽⁵⁾.

- التحوّل اللساني: يصيب اللسان التغيير بشكل تدريجي عبر الزمن - على الرّغم من عدم مقدرة الناطقين بها على تغييرها- وخاصة أشكال المفردات ومعانيها، ويقصد

¹ فردينان ديه سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص94.

² محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص35.

³ فردينان ديه سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص96.

⁴ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص128.

⁵ حنيفي بناصر ومختار لزعر، اللسانيات: منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية: ديوان المطبوعات الجامعية،

الجزائر، 2009. ص81.

سوسير بالتغيرات الصوتية التي تصيب الدال⁽¹⁾ أو تلك التغيرات التي تصيب تصور المدلول... فإنها تؤدي إلى تبدل على مستوى العلاقة بين الدال والمدلول، ويطلق عليها جاكبسون "التعديلات الفونيمية"، والتي تقتضي حسبها " تلاؤم المستمع مع المتكلم و/أو المتكلم مع السامع"⁽²⁾.

المقصود بهذه الخاصية مقدرة الإنسان على أن يتكلم بواسطه لغته على الأشياء والأحداث البعيدة عنه زمانا ومكانا، فكما يستطيع الإنسان أن يستحضر تجارب حدثت في مكان وزمان بعيدين يستطيع أن يتحدث عن تجارب أو أحداث متوقعه لم تحدث بعد بل إنه ليستطيع أن يحكي تجارب غيره.

5. التقطيع المزدوج (la double articulation)

تتعلق نظرية (أندريه مارتينييه/A. Martine) الوظيفية من بديهة أساسية، فهو يرى أن اللسان البشري يتميز عن بقية الأشكال التبليغية الأخرى بكونه مزدوج التقطيع⁽³⁾، أي أن الأقوال اللسانية مكونة من مقاطع دنيا على مستويين مختلفين، تقطع إلى سلسلة من الوحدات الدالة، ثم إلى عدد من الوحدات الصوتية⁽⁴⁾:

- مستوى التقطيع الأول: نحصل فيه على وحدات ذات مضمون (مدلول) وصوت ملفوظ (دال)، وتسمى المونيمات أو اللفظات أو اللفاظم (*Monèmes*)، وتشكل مجموع اختيارات المتكلم، فالمونيم له شكل صوتي ولكن أيضا له معنى (وبالتالي وحدة كبيرة)، ولكن لا يمكن تحليله إلى وحدات متتالية أصغر ذات معنى (وبالتالي الحد الأدنى من الوحدة). مثلا:

- في الفرنسية كلمة (*tablette*) تحتوي على مونيمين اثنين، حيث يمكن تحليله في إلى

¹ جورج مونان، معجم اللسانيات: ص 121.

² رومان جاكبسون وموريس هالة، أساسيات اللغة: ترجمة سعيد الغانمي، كلمة- أبو ظبي، والمركز الثقافي

العربي، بيروت. ط1، 1429هـ / 2008م. ص96.

³ ANDRÉ Martinet Elements de linguistique generale ,pp14.

⁴ رونالد إيلولر، مدخل إلى اللسانيات: ص82.

لفظ (tabl) واللاحقة (ette).

- في العربية كلمة (كفيتكموها) تحتوي على المونيمات التالية:

(كفيتكموها) = الفعل (كفى) + الفاعل (أنا) + المفعول 1 (أنتم) + المفعول 2 (أيها)

فمفهوم المونيم يتجاوز مفهوم الكلمة، الذي تجاهله مارتينييه، لأنه يتقاطع مع العديد

من الحقائق المختلفة.

وقسم مارتينييه المونيمات من حيث تموقعها في درج الكلام إلى ثلاثة أنواع، هي:

- المونيمات المستقلة: الظروف هي مونيمات مستقلة، لأنها يمكن أن تظهر في أي وضع: إنه يوم عيد ميلادك اليوم - اليوم هو يوم عيد ميلادك - هو اليوم يوم عيد ميلادك.
- المونيمات الوظيفية: حروف الجر هي مونيمات وظيفية تقطع عن المونيمات الأخرى. تستخدم حروف العطف الثانوية للتعبير عن الألفاظ على الألفاظ الأخرى.
- المونيمات المقيدة: تسمى الكلمات الأخرى في اللغة المونيمات التابعة (من موقعها في الجملة، وعلاقتها مع الكلمات الأخرى في الجملة: الاسم، الفعل، الصفة المؤهلة).

كما يصنّف المونيم إلى فئتين رئيسيتين:

- اللكسيمات / lexemes (أو الوحدات المعجمية): هذه هي الكلمات ذات المحتوى الدلالي. من الفئة المفتوحة ذات مخزون غير محدود، إذ يمكن إدخال كلمات جديدة دون التأثير على استقرار النظام، وهي: الأسماء والأفعال والصفات والظروف.
- المورفييمات / Morphemes (أو الوحدات النحوية): أنها لا تنقل محتوى مرجعي دقيق مثل: الوحدات المعجمية: الضمائر، ضمائر الملكية، حروف الجر، والعطف. علامات الإعراب... إلخ).

وتصنّف المونيمات في قائمتين:

- فئة القائمة المفتوحة:

إذا تأملنا المثال: قلبي من عاج

نلاحظ أن الوحدات التي يمكن استبدالها بلفظة (قلم) كثيرة لا يمكن حصرها:

قلم	ي من عاج
ساعت	
قرط	
سوار	
قلادت	

الوحدة (قلم) وحدة معجمية تنتمي إلى قائمة مفتوحة؛ لأن عدد وحداتها غير متناه ويتزايد على مرّ الزمان.

- فئة القائمة المغلقة:

إن الوحدات التي يمكن استبدالها بـ(ي) في المثال السابق تنتمي إلى قائمة معدودة الوحدات (نا) (ك) (كما) (كم) (كن) (ه) (ها) (هما) (هم) (هن)، ويتضح ذلك في الجدول:

قلم	ي	من عاج
	نا	
	ك	
	ك	
	كما	
	كم	
	كن	
	ه	
	ها	
	هما	
	هم	
	هن	

- مستوى التقطيع الثاني: يمكن للوحدات الدالة المونيمات (*Monèmes*) أو اللفاظ أن تتقطع بدورها في مستوى ثانٍ إلى سلسلة من الوحدات الدنيا المتتابعة وعددها محصور في كل لسان، وتتحكم في كيفية اقترانها القوانين الخاصة بكل لسان، ونسمي هذه الوحدات بالصّواتم أو الفونيمات (*Phonèmes*)، وهي محصورة في كل لسان⁽¹⁾ (حوالي ثلاثين فونيمًا في كل لغة)، وتتماشى مع الميل إلى بذل أقلّ جهد. ويطلق هذا المصطلح للدلالة على الأصوات الدالة على اللسان العربي مثلًا بما فيها الحركات وحروف المد، هكذا يمكن للفظة (كتب) أن تتقطع إلى ست (6) وحدات مميزة؛ أي إلى ستة حروف (ك) (-َ) (ت) (-ِ) (ب) (-َ).

إنّ انفراد الإنسان باللغة هو امتياز يسمح له بالارتقاء فوق مملكة العضويات الحية، كما يرى الفيلسوف الألماني ارنست كاسيرر حيث يستطيع الإنسان تشكيل عوامل رمزية شاسعة وغنية كالأسطورة والفن والدين والفكر... والخروج من رتبة العوالم المادية المباشرة.

6. الاقتصاد اللغوي:

يفترض مارتينييه أن الوظيفة الرئيسية للغة -وهي وظيفة التواصل- تتضمن مفهوم الاقتصاد اللغوي، ويجب أن توفر وحدات مختلفة ونقي بمتطلبات الاتصال قدر الإمكان لتمثيل العديد من مفاهيم التعبير بأقلّ جهد.

واللغة الإنسانية تتبّع القوانين العامة للنشاط البشري، وبالتالي تميل إلى مقولة "أقلّ جهد"، وهذا القانون يعني وجود الحد الأدنى من الوحدات التي تختلف بأقل قدر ممكن، وتكمن النقطة المركزية لما يذهب إليه في مفهوم التقطيع المزدوج.

يمكن اللغة من أن تعبر بعدد محدود من الأدوات اللغوية، وهي الأصوات الدالة، على ما لا حصر له من المعاني والأفكار والتجارب، وهذه وظيفة اقتصادية في اللغة أو مبدأ الاقتصاد اللغوي كما عبّر عن ذلك اللسانيون الوظيفيون.

¹ سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات الميسرة، ص74.

وهذا التقطيع يؤدي الدور الرئيس في الآلية اللسانية، من حيث هو عملية اقتصادية يسمح بفهم القدرة الغريبة للغات على إنتاج ما لا نهاية من الإرساليات المختلفة من عشرات العناصر⁽¹⁾، وهذا الذي يضع الحدود الفاصلة بين اللسانيات الخالصة وعلم السيميائيات، أي دراسة الكلام الذي يركز على اللغة الطبيعية وبين دراسة أنظمة التواصل غير اللسانية، لذلك احتفظ مارتيني بكلمة (*Langage*) للغات الإنسانية دون غيرها من أنظمة التواصل يقول مارتيني: "إن اللغة التي يدرسها اللغوي هي لغة الإنسان، أما الطرق التعبيرية الأخرى فلا يطلق عليها (لغة) إلا مجازاً"⁽²⁾، لذلك فاللغة البشرية لا يمكن أن يماثلها نظام إشاري آخر⁽³⁾.

ما يمكن تسميته بالاقتصاد اللغوي هو ذلك البحث الدائم عن التوازن بين الاحتياجات المتناقضة التي يجب تلبيتها: الاحتياجات التواصلية من جهة، والميل إلى تقليل النشاط العقلي والبدني وهذان الأخيران في صراع دائم، والدور الذي تلعبه هذه العوامل مقيد بمختلف المحظورات التي تميل إلى تجميد اللغة عن طريق تجاهل أي تجديد في غاية الوضوح⁽⁴⁾.

¹ للتوسع: فخر الدين قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان،

ط1، 2001.

² ANDRÉ Martinet, *Eléments de linguistique générale*: P 7.

³ ANDRÉ Martinet, *Eléments de linguistique générale*: P 21.

⁴ ANDRÉ Martinet, *Eléments de linguistique générale*: P 178.

المحاضرة السادسة

اللسانيات والتواصل

عناصر المحاضرة

- مقدمة

1- مفهوم التواصل

أ. التواصل في الوضع

ب. التواصل في الاصطلاح

2- مفهوم الاتصال

أ. الاتصال في الوضع

ب. الاتصال في الاصطلاح

3- بينة التواصل والاتصال

4- نظرية الاتصال

5- اللسانيات والتواصل اللغوي

6- عوامل التواصل

أ. عوامل التواصل عند ديي سوسير

ب. عوامل التواصل عند رومانو جاكبسون

- خلاصة

اللغة البشرية تحمل مفاهيم الفكر، وتنظم قواعد الكتابة والإبداع فيه، واللغة في معطياتها المعرفية تشتغل على وحداتها الداخلية من باب الإفصاح عن تلك المكونات الكائنة فيها بالنظر إليها وصفا وتحليلا وكشفا وتنقيبا وسعيا إلى وضع قواعد ونظريات من خلال هذا التأمل الداخلي لها، أو هذا الوصف الذي يأتي من داخل اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، غير أن اللغة لا تقف عند حدود هذه الجزئيات بل إنها تتجح في نطاق آخر موسع وخارجي، وهو بحث بعدها الإبلاغي في التّواصل باعتبارها مادة تواصلية، أي ذات وظيفة اتصالية ما بين البشر، وتأتي هذه الوظيفة في صدارة اهتمامات اللغة.

1- مفهوم التّواصل:

أ. التّواصل في الوضع: التّواصل من الفعل "تواصل" على وزن تفاعل الذي يدل على:

- المشاركة بين اثنين فأكثر، مثل: تقاتل زيد وعمرو، تجادل زيد وعمرو وعلي.
- التظاهر: ومعناه الادعاء بالاتصاف بالفعل مع انتقائه عنه، مثل: تناوم، تكاسل، تجاهل...
- الدلالة على التدرج أي حدوث الفعل شيئا فشيئا، مثل: تزايد المطر، تواردت الأخبار.
- المطاوعة: وهو يطاوع وزن "فاعل"، مثل: باعدته فتباعده، واليته فتوالى⁽¹⁾.

ب. التّواصل في الاصطلاح:

هو تبادل أدلة بين ذات مرسلة وذات مستقبلة، حيث تنطلق الرّسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى، وتقتضي العملية جوابا ضمنيا أو صريحا عما نتحدّث عنه، الذي هو الأشياء أو الكائنات، أو بعبارة أشمل "موضوعات العالم"، ويتطلّب نجاح هذه العملية اشتراك المرسل والمرسل إليه في السنن حتّى يتمّ الإسنان والاستسنان على الوجه الأكمل كما أراد له المجتمع اللغوي، كما تقتضي العملية قناة تنقل الرّسالة من الباثّ إلى المتلقي.

¹ عبده الراجحي، التطبيق الصرفي: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1974. ص38.

2- مفهوم الاتصال:

أ. الاتصال في الوضع: الاتصال في الوضع من [و، ص، ل]، وله معاني كثيرة، منها:

- بلغ وانتهى؛ فيقال: [و.ص.ل] (وصلت) الشيء من باب وَعَدَّ و"صلة" أيضا، و"وصل" إليه يصل وصولاً؛ أي بلغ⁽¹⁾.

- اتّصل: بمعنى "دعا دعوى الجاهلية، وهو أن يقول: "يا فلان"، قال تعالى: "إلا الذين يصلون إلى قوم" [النساء/90] أي يصلون⁽²⁾، ومنه "وصل الشيء بغيره فاتّصل، ووصل الحبال وغيرها توصيلاً: وصل بعضها ببعض... ووصلت شعرها بشعر غيرها، ولعن الله الواصلة والمستوصلة"⁽³⁾.

- انتمى: حيث يقال "... وصل إلى بني فلان واتّصل: انتمى، قال الأعشى:

إذا اتّصلت قال: أبكر بن وائل *** وبكر سبتها والأنوف رواغم"⁽⁴⁾

ب. الاتصال في الاصطلاح:

الاتصال هو نقل الأفكار وتبادل الثقافات وتوصيل رغبتك للطرف الآخر عن طريق الكلام والكتابة والإيماءات أو التعبيرات المختلفة.

كما عُرف بأنه انتقال الشعور من طرف آخر أو من طرف مجموعة حيث يتمثل في تبادل المعلومات ونقل العواطف والتعبير عن الاتجاهات والرغبات والقيم من فرد آخر أو انتقال المعارف والثقافات من مجموعة إلى مجموعة أخرى.

فالالاتصال عملية تتم بين شخصين، أحدهما مرسل والآخر مستقبل أو مرسل إليه، وبينهما الرسالة التي يتم تبادلها عن طريق وسيلة أو أكثر من وسائل الاتصال المعروفة.

¹ الرازي، مختار الصحاح: دار الكتاب العربي، بيروت. ط1، 1967. ص6.

² الرازي، مختار الصحاح: المرجع نفسه، ص725.

- ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة العربية والاتصال: دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000. ص15.

³ الزمخشري، أساس البلاغة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000. ص678.

⁴ الزمخشري، أساس البلاغة: المصدر نفسه: ص679.

3- بين التواصل والاتصال:

يتمّ التعبير في الاستعمالات المعرفية والعلمية باللغة العربية بمصطلحي الاتصال والتواصل باعتبارهما ترجمة مرادفة للمصطلح الفرنسي (communication)، وهما وإن تقاطعا في الجذر والدلالة لا يفيدان الترادف، وذلك لاختلافهما في البنية الصرفية.

فالتواصل مصدر، ومنه الفعل المزيد "تواصل" على وزن "تفاعل"، وهذه الصيغة الصرفية تدل على اشتراك طرفين أو أكثر في إنجاز الفعل في وقت واحد⁽¹⁾. الأول هو المرسل والثاني هو المستقبل، وحسب الشروط المقامية قد يصبح المستقبل مرسلا والمرسل مستقبلا وبذلك يحضر التخاطب والتفاعل بينهما.

أما الاتصال فهو مصدر للفعل المزيد "اتصل" الوارد صرفيا على صيغة "افتعل"، وهو لا يفيد الاشتراك لأن الفاعل المنجز للحدث طرف واحد فقط. وبذلك فالتواصل لا يعني الاتصال؛ لأنه ذو طبيعة خاصة، ويأتي في مرحلة ثانية بعد أن يتمّ الاتصال الذي هو أعمّ وأشمل، أي أنّ التواصل جزء من الاتصال ولا يتحقق بدونه. وكثيرة هي المواقف والوضعيات التي يتحقق فيها الاتصال دون أن يتحقق التواصل بفعل التشويش أو المعيقات التواصلية التي تتأثر بها عناصر العملية التواصلية.

ويستخدم التواصل على المستوى الاصطلاحي بمعان متنوعة تتدرج من التفاعل بين الأفراد إلى استخدام شبكات الاتصال التكنولوجية، ويحدث عندما يتبادل الأفراد المعلومات، أي عندما يدرك بعضهم بعضا، وعندما يتبادلون الرسائل فيما بينهم، ولا يقتصر ذلك على الجانب اللفظي فحسب، بل يتضمّن الإيحاءات والإشارات والمظهر وأوضاع البدن...

ويرتبط التّواصل في بعده الإنساني بالتخاطب والتحاور بين شخصين فأكثر، بمعنى أن التواصل يقتصر على الممارسة الفعلية الاجتماعية للغة التي تتمثّل في الإبلاغ والإخبار والاطلاع من خلال المشاركة في ما يجري بين الأفراد من أحاديث، فهو "يخصّ التخاطب

¹ ينظر: عبد الراجحي، التطبيق الصرفي: ص 36.

البشري، ويختص بدراسة العلاقات بين الأشخاص الذين يفسّرونها ويتأثرون بها⁽¹⁾، وهذا يعني أن التواصل يقوم على "نشاطين رئيسين هما: الكلام والاستماع، هذان النشاطان لهما أهمية بالغة لدى عالم النفس باعتبارهما نشاطين عاليين للجهاز العصبي يحملان في ثناياهما عمليات تعكس طبيعة العقل البشري وقدرته"⁽²⁾، والملاحظ أن هذين الشرطين لا يتوفران إلا في اللغة المنطوقة أي في الكلام، وهذا لا ينطبق على اللغة المكتوبة التي تعد من ضمن طرق الاتصال، ويمكن الاستعاضة عنهما فيها بالقراءة والرؤية.

فمفهوم التواصل ينحصر أساساً في الممارسة الفعلية للغة، شفوية كانت أم خطية، في حين يقتصر الاتصال على الوسائل والأدوات والطرق التي تساعد على تحقيق وتجسيد هذه الممارسة في الواقع الملموس، وهذا بحسب موقف وموقع كل من طرفي العملية التواصلية.

وقد يراد بالاتصال التواصل عند البعد، والعكس صحيح، وهذا بفضل ما أفرزته التقنية الحديثة في مجال الاتصال حيث أصبح التواصل يعني انتقال المعلومات ومعالجتها وتقليبها.. في كلّ الأنظمة العلامية⁽³⁾، حتّى صارت المعاجم لا تميّز الاتصال من التواصل في كثير من التعريفات، من ذلك ما جاء في معجم التربية أن الاتصال هو "نقل خبر ما من شخص إلى آخر، وإخباره به، وإطلاعه عليه، ويعني التواصل وحدتي التواصل والتوصيل؛ أي إقامة علاقة مع شخص ما أو شيء ما، كما يشير إلى فعل التوصيل، كما أنه يعني التبليغ أي توصيل شيء ما إلى شخص ما وإلى نتيجة ذلك الفعل، كما يدل على الشيء أي يتم تبليغه والوسائل التي يتم التواصل بفضلها"⁽⁴⁾.

¹ نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات: مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس. 1993 ص 157.

² المرجع نفسه، ص 157.

³ المرجع نفسه ص 157.

⁴ عبد اللطيف الفاربي، وآخرون، معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك: 01- سلسلة علوم التربية: 9-10 ب.ط، ب.ت ص 81.

إنّ التواصل أشمل وأعمق في المعنى من الاتصال، وقد ينشأ التواصل نتيجة لعملية الاتصال في كثير من الأحيان، كما يتمّ بالمشاركة بين طرفي عملية الاتصال وانفتاح الذات على الآخر مع استمرار العلاقة بينهم.

وفي العموم، يمكن استخدام المصطلحين بالمعنى نفسه نظرا للعلاقة الوطيدة بينهما واشتراكهما في العناصر المكونة لهما والأهداف العامة لكلّ منهما، وهي السعي نحو تغيير السلوكيات والاتجاهات وتقوية العلاقات وتقديم المعلومات وتحقيق الانسجام وما إلى ذلك...

4- نظرية الاتصال:

انطلقت الدّراسات والبحوث المتخصصة في نظرية التواصل في الولايات المتحدة في الأربعينات من القرن العشرين، وقد ساهمت أبحاث متنوعة، وفي اختصاصات محدّدة- الفيزياء والرياضيات- في بلورة نظرية حول الأنظمة التواصلية، وبعد هذه المحاولات التمهيدية تمكنت نظرية التواصل من تحديد موضوعها، وتأسيس منظوراتها. وقد شكّل التواصل اللساني فرعا من الفروع المدروسة في نظرية التواصل، وتمت في هذا الإطار عمليات تحديد دقيقة لمفاهيم عدة وحدود كثيرة.

ومن هنا تبلورت الأعمال المهمة حديثا بفضل اشتراك علماء الرياضيات ومهندسي التواصل، حيث تم تحديد موضوع نظرية التواصل باعتبارها بحثا تأمليا في: المميزات الخاصة في كل نظام من العلامات مستعمل بين كائنين يهدف إلى غايات تواصلية.

ويقتضي هذا التعريف أطرافا مكوّنة تؤثر في كلّ سيرورة تواصلية، فوضع أصحاب النظرية مكونات أساسية لها متمثلة في دورة التخاطب وعناصرها المجسدة في: السنن (code) المشترك بين المتكلمين، إلى قناة الاتصال (canal) وإبلاغ الرسالة لعناصرها السياقية والمضمونية، وقطبي التواصل المحوريين: المرسل (émetteur) والمتلقي (récepteur)، وإنّ لكل طرف من هذه الأطراف تعريفا له ومكانة في العملية.

5- اللسانيات والتواصل اللغوي

يمثل التلاحق البارز الذي حصل بين اللسانيات ونظرية التواصل خطوة من الخطوات الرائدة التي اجتازها الباحثون في التخصصين معا، فالقضايا الأساسية الفرعية في العلمين تجد تقاطعاتٍ محوريةً، تفتح آفاقا واسعة لتبادل الخبرات والنتائج، وإعادة فحص أطراف عملية التواصل، والميكانيزمات الظاهرة والخفية لكل سيرورة تواصلية، وهذا مع الاحتفاظ بالمعالم الجوهرية لكل تخصص.

لقد أصبح موضوع التواصل في اللسانيات، وخصوصا عند رومان جاكبسون من المواضيع المحورية التي تتأسس عليها جملة من الإشكالات النظرية والتطبيقية، مما جعله يفرد مبحثا خاصا لاكتشاف التقاطعات والتباينات بين نظرية التواصل واللسانيات في كتابه (محاولات في اللسانيات العامة).

6- عوامل الاتصال

توصيل المعلومات هو رسالة، وهذا هو الحال مع الرسالة المرسلة إلى أحد الأقارب، تحية الصباح، صرخة النجدة ... الخ، فأى رسالة تتضمن اتصالا بين محاورين على الأقل: المرسل والمستقبل، ويمكن أن يكون الاتصال - قناة الاتصال المادية - قريبا ومباشرا (المحادثة في المقهى)، أو بعيدا ومباشرا (الهاتف والمراسلات)، أو غير مباشر (الراديو أو الصحف أو الملصقات) .. الخ .

وقد اختلف عدد عوامل التواصل من علم إلى آخر:

أ. عوامل التواصل عند دي سوسير:

أشار دي سوسير في محاضراته إلى الكيفية التي يتم بها التواصل، وقرّر أنّ اللغة ما هي إلا نسق من العلامات والإشارات الغرض منها هو التواصل، وأنّ هذه العملية تحتاج إلى باث وملتق وقناة، وفق ما يلي:

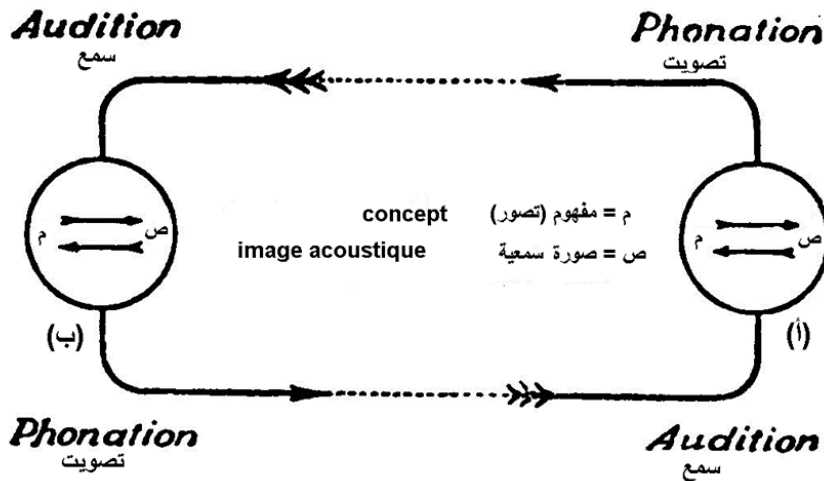


رسم بياني يوضح دورة التواصل عند دي سوسير (1)

حيث بين أن دورة التواصل البشري تمر بثلاث خطوات:

- نقطة البداية تكون في ذهن الباث الذي يحول المفاهيم إلى أصوات، ويرسلها وفق ما تتيحه الخصائص الفيزيولوجية لجهاز النطق.
- الخطوة الثانية تبدأ من فم الباث وتنتهي عند أذن المتلقي، أين تنتقل المرسل في شكل أمواج صوتية عبر الأثير إلى أن تبلغ أذن المتلقي.
- الخطوة الثالثة تتم على مستوى دماغ المتلقي الذي يقوم بتحويل المرسل الصوتية وفك رموزها وإعادة تركيبها الصوتي والصرفي والنحوي، واستخلاص المعنى المتضمن فيها.

ويمكن تجسيد ذلك في الرسم التالي:



رسم بياني لدورة التواصل عند دي سوسير (2)

¹ DE SAUSSURE, cours de linguistique générale, p20.

² DE SAUSSURE, cours de linguistique générale, p21. (مع تصريف بإضافة ترجمة المصطلحات)

فدورة التواصل عند دي سوسير تعتمد على طرفي التواصل، فتكون نقطة الانطلاق من ذهن الطرف (أ) الذي يقوم بربط التصور (المفهوم) بالصورة السمعية المناسبة وينقلها إلى جهاز النطق الذي يرسلها في شكل موجات صوتية ليلتقطها جهاز السمع: [عملية ذهنية + عملية فيزيولوجية + عملية فيزيائية]

أمّا السامع فيعتمد العمليات السابقة نفسها بترتيب معكوس.

ب. عوامل التواصل عند رومان جاكبسون:

يرى جاكبسون أن اللغة وسيله للتواصل البشري، والذي لا يتحقق إلا إذا توفرت

العوامل التالية:

- 1- المرسل أو الباث الذي يرسل معلومات أو بيانات تتضمن دلالات أو معاني قصد إحداث اثر لدى المرسل إليه، ويمكن أن يكون المرسل شخصا أو جهازا إلكترونيا يقوم بوظيفته الإرسال ومراعي العوامل المتعلقة بالمرسل إليه كمستواها الثقافي والمعرفي والجانب النفسي والاجتماعي والاقتصادي.
- 2- المرسل إليه أو المستقبل الذي يتلقى الرسالة ويتفاعل معها ويتأثر بها، وهو المقصود في عملية التواصل، ويمكن أن يكون -بدوره- شخصا أو جهازا إلكترونيا خاصا، ويشترط فيه أن يكون مؤهلا لفك رموز المعلومات المشفرة.
- 3- الرسالة: تشير الرسالة إلى موقف معين (مرجع أو سياق): الطقس، الأخبار السياسية، كارثة، الحالة الإنسانية... يتم إنشاؤه بمساعدة رمز؛ أي نظام من العلامات المزودة بالمعنى، فوجود رمز مشترك يضمن فهم الرسالة: إذا عبّر المتحدث عن نفسه باللغة الروسية، على سبيل المثال، وكان المتلقي لا يعرف هذه اللغة، فإنّ الرسالة ليست بالنسبة إليه سوى لغو؛ خالية من أي معنى.
- فالرسالة تجسّد أفكار المرسل في صور سمعية في الخطاب الشفوي أو علامات خطية في الخطاب المكتوب.
- 4- المرجع يمثل الموضوع الذي تدور حوله الرسالة، أو ما يتحدث عنه طرف التوصيل.

5- الوسيلة أو قناة التواصل وهي الأداة التي من خلالها يتم نقل الرسالة من المرسل الى المرسل إليه، وتختلف الوسيلة باختلاف مستويات التواصل والوسائل المستعملة؛ فكل عملية تواصلية قناة ملائمة ومحدده⁽¹⁾، وقد تطرأ عوامل تعيق عملية التواصل لخلل يصيب قناة التواصل، مثل: الكتابة غير الواضحة، والظروف المناخية غير المناسبة، والضوضاء الخارجية التي لا يمكن السيطرة عليها...

6- السنن: مجموعة من العلامات والقواعد المؤلفة منها والتي تمكّن المرسل من تأليف رسالته، والمرسل إليه من التعرف على نسق العلامات، فيقوم المرسل بتشفير (encodage ou codage) عدد معين من العلامات ودمجها وإدخالها في القناة، ويقوم المرسل إليه بفك التشفير (Le décodage) بإسناد المعنى إلى الرسالة من خلال تفسير العلامات ومزيجها.

ويمكن للتواصل بين المتخاطبين أن ينحصر بسبب التفاوت في مستوى اللغة والثقافة.

إن عناصر التّواصل هذه يطابق كلّ عنصر منها وظيفه لسانية والفضل يرجع إلى رومان جاكسون في تحديد وظائف اللغة الستة خلال كل فعل تواصلية.

- خلاصة:

إنّ اللغويين قبل جاكسون لم يعيروا التعبير غير اللغوي أهمية كبيرة، بل ركزوا أكثر على اللغة الإنسانية والتواصل الإنساني باللغة أهم مميزات الطبيعة البشرية، فالكلام يتكوّن من مجموعة منظمة من الجمل، وهذه الجمل لا تفهم عند التحليل إلاّ من خلال مخطط التواصل الذي طوره جاكسون.

دي سوسير تحدّث عن دورة الكلام وحدّد عناصرها بالتركيز على طرفيها المرسل والمرسل إليه، أمّا جاكسون فقد حدّد العوامل المتحكمة في العملية التواصلية حين حديثه عن اللغة ووظائفها.

¹ الضوء مثلا يمثل قناة التواصل البصري، والهواء للتواصل الشفوي، والكهرباء والكيمياء للتواصل الآلي، والصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون للتواصل الجماهيري.

المحاضرة السابعة وظائف اللفظ

عناصر المحاضرة:

- 1- المدخل
- 2- الوظيفة التعبيرية
- 3- الوظيفة التأكيديّة
- 4- الوظيفة الانتباهية
- 5- وظيفة ما وراء اللفظ
- 6- الوظيفة المرجعية
- 7- الوظيفة الشعريّة

- مدخل:

بادئ ذي بدء علينا أن نعي أننا أمام نوعين من الوظائف؛ النوع الأول هو ما تقوم به اللغة ككل، والنوع الثاني هو تلك العلاقات الدلالية والتركيبيّة أو التداوليّة التي تحصل بين عناصر الجملة، وما يعنينا في هذا المقام، هو الوظيفة التي تؤديها اللغة ككل.

وقد تباينت آراء علماء اللغة في هذا الشأن حول نقطتين اثنتين: إذا ما كان للغة من وظيفة؟ وإذا ما تعددت الوظائف، فما هي الوظيفة الأساسية؟

وقد أقر اللساني السويسري دي سوسير من البداية أن وظيفة اللغة هي التواصل، ولكن دار جدال بين تشومسكي وفلاسفة اللغة -وعلى رأسهم سيرل- في السبعينات من القرن الماضي، أين تأرجح موقف تشومسكي بين الإقرار بأن للغة وظيفة وبين نفيها عنها، أما فلاسفة اللغة اللسانيون الوظيفيون، فيعترفون بأنّ للغة وظيفة (أو وظائف) لأن وصف خصائص اللسان الطبيعي وتفسيرها يتعذر من دون الربط بين الوظيفة وهذه الخصائص التي تعد انعكاساً سوريا لها⁽¹⁾.

تؤدي اللغة -قبل كل شيء- غرض توصيل المعلومات، من دون وظيفة مركزية، وبالتالي وظيفة الاتصال (وتسمى أيضاً المرجعية والمعرفية)؛ وبالضرورة يحدد تنظيم اللغة ذاته، وخصائص الوحدات اللغوية والعديد من الحقائق التاريخية. ومع ذلك، قد يكون من المفيد التمييز، وفقاً لخصائص الاتصال؛ نوع مختلف من الرسائل، وبالتالي وظائف مختلفة للغة⁽²⁾.

وقد رصد دي سوسير للتواصل عنصرين هما: المتكلم والمتلقي، و"جعل نقطة انطلاق الدارة في دماغ أحد المتحاورين حيث تترابط وقائع الضمير المسماة تصورات مع

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2، 2010. ص50-

² Jean Dubois et autres, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage : P205.

تمثيلات العلامات الألسنية، أو الصور السمعية المستخدمة في التعبير عنها⁽¹⁾.

وأضاف اللساني الألماني بوهلر عنصرا ثالثا وهو المرجع؛ أي الشخص أو الشيء الذي نتحدث عنه. وتحدد على أساس هذا النموذج ثلاث وظائف للغة، هي: التعبيرية (انفعالية) التي تركز على المرسل (ضمير المتكلم)، والمرجعية التي تركز على المرجع (ضمير الغائب، أي الشيء أو الشخص الذي يتحدث عنه المتخاطبان)، والإفهامية التي تركز على المرسل إليه (ضمير المخاطب)⁽²⁾، وقد أفاد رومان جاكبسون (R. Jakobson) من مخطط بوهلر واقترح تصنيفا أكثر تفصيلا، يتوافق مع عوامل الاتصال كما وصفها منظرو علم التحكم الآلي، ومستقيدا من نظرية الاتصال التي ظهرت لأول مرة سنة (1948)؛ على يد كلود شانون، ومفادها أنّ عملية الاتصال تقوم على ستة عوامل، هي:

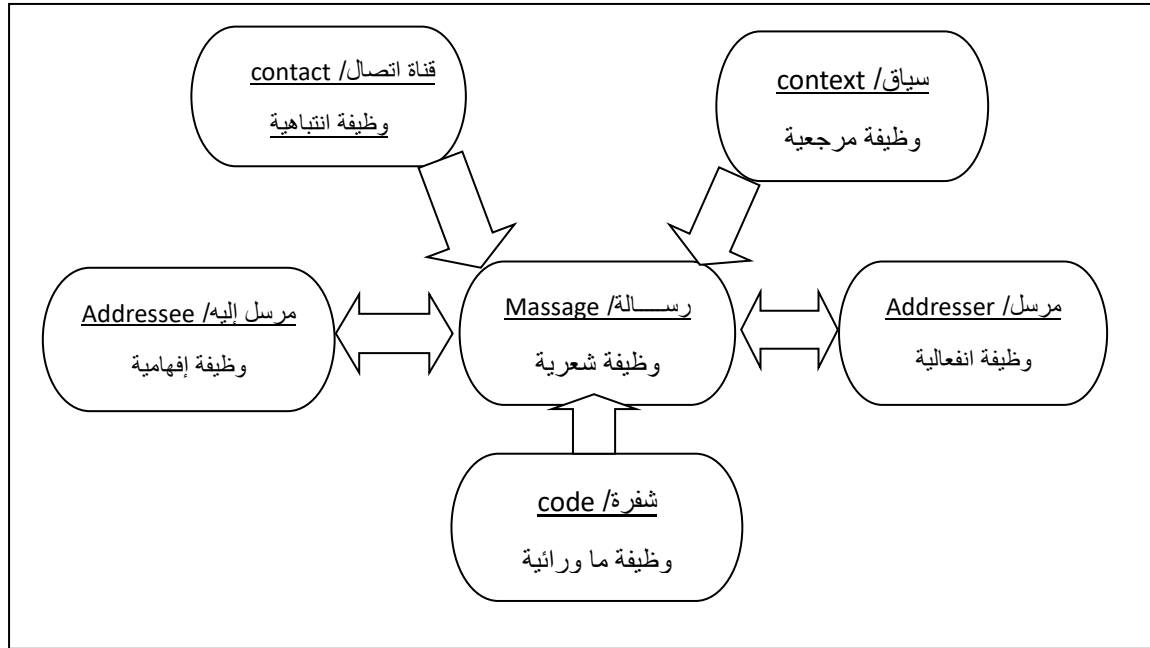
- «المرسل» الذي يرسل الرسالة إلى المستلم.
- «المرسل إليه» الذي يستقبل الرسالة.
- «قناة الاتصال» التي تسمح بإنشاء التبادل والحفاظ عليه بين المرسل والمرسل إليه؛ أي وحدة التجربة بينهما التي تحقق الاتصال وتبقيه قائما.
- «الرسالة» وهي ظرف للمحتوى الكلامي الذي تشير إليه، ويفهمه المتلقي في الوقت نفسه.
- «شفرة الاتصال» (رمز مشترك بين المرسل والمستلم) وهي اللغة المشتركة التي يتكلمها المرسل والمرسل إليه معا.
- «المرجع» وهو الموضوع أو السياق⁽³⁾.

¹ ينظر: الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007. ص 17.

² يوسف إسكندر، اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقالات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط2، 2008. ص 57.

³ Jean Dubois et autres, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage: P 205.

وقد ربط جاكبسون بين عوامل الاتصال ووظائف اللغة، فكلّ عامل من هذه العوامل يولّد وظيفة لسانية مختلفة، ويمكن تجسيدها في الرّسم البياني التالي:



الوظائف اللغوية في علاقتها بالوظائف التواصلية

وقد جمع وظائف اللّغة في ست وظائف، على النحو التالي:

1- الوظيفة التعبيرية «la fonction expressive» أو الانفعالية «émotive»: ترتكز هذه الوظيفة حول المرسل، وتعبّر الرسائل مباشرة عن ردود فعله العاطفية تجاه الموقف الذي يتحدّث عنه: الخوف والألم والفرح والإعجاب وما إلى ذلك...

وتنفيذ الوظيفة التعبيرية -في اللغة المنطوقة- يكون بوسائل التعبير المستخدمة، مثل النّعمة، والتغيير في ترتيب الكلمات... وهذه الوظيفة بتركيزها على المرسل فإنّها «تنزع إلى التعبير عن عواطف المرسل وموقفه إزاء الموضوع الذي يعبر عنه، ويتجلى ذلك في طريقة النطق مثلا أو في أدوات تعبيرية تقيد الانفعال كالتأوّه، أو التعجب، أو دعوات الثّلب..(1)، أو صيحات الاستنفار»(2)، فتكون الطبقات الانفعالية في الخطاب المنطوق أكثر وضوحا،

¹ * طعن في شيء، تناوله بالقبيح.

² عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا. ط3، 2008. ص158.

منها في الخطاب المكتوب؛ ذلك أن الأول يستعمل الِيتَيْن اثنتين: الأولى فيزيولوجية في النَّبر، والتَّخيم والترقيق، والجهر والهمس، وارتفاع الصَّوت والمحادرة، الثانية دلالية صرفة تدركها من المسننات المتعارف عليها في المجتمع المتخاطب مثل: صيغة التعجب، والاستغاثة والندبة... أمَّا الثاني فيستند على الآلية الثانية فقط؛ لأنَّ الجانب الفيزيولوجي للدَّوال يضمّر عندما يتحوَّل الخطاب من صيغة المنطوق إلى صورته المكتوبة خطيًا.

ولذلك فإنَّ «الاختلافات الانفعالية عناصر غير لسانية»⁽¹⁾، ومن ثم يستحيل نقلها كما هي في صورة خطية لكنها لا تضرر بشكل نهائي مما يجعل التعبير والاستجابة يختلفان فيهما.

وتتمظهر الوظيفة الانفعالية - في اللغة المكتوبة- عبر أدوات تركيبية خاصة يتصدرها التعجب، وضمير المتكلم "أنا"⁽²⁾.

أمَّا من النَّاحية الأسلوبية فتُهيمن الوظيفة الانفعالية عندما يأخذ الكاتب أو الناظم المكانة المركزية في النَّص وتعبيره عن أفكاره ومشاعره الخاصة، وتتجلى هذه الوظيفة مثلاً في أدب السيرة الذاتية أو الشعر الغزلي.

2- الوظيفة التأثيرية «la fonction impressive» أو -الوظيفة الإفهامية «la fonction

cognitive»⁽³⁾: هذه الوظيفة موجّهة نحو المرسل إليه (مستقبل الرسالة)، وستعمل عندما تسعى الرسالة إلى فرض ردّ فعل معين على المستمع أو القارئ، وتجد تعبيرها « الأكثر خلوصاً في النَّداء والأمر اللذين ينحرفان، من وجهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فونولوجية في الغالب، عن المقولات الاسمية والفعلية الأخرى، وتختلف جمل الأمر عن الجمل الخبرية في نقطة أساسية: فالجملة الخبرية يمكنها أن تخضع لاختبار الصدق، ولا يمكن لجمل الأمر

¹ رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 1988. ص29.

² Daniel Delas et Jacques Filiollet, Linguistique et Poétique: Larousse, Paris, 1973. p40

³ الأول نظر إليها من وجهة نظر عقلية، والثاني يحمل المدلول العاطفي.

أن تخضع لذلك»⁽¹⁾. لذلك تتميز هذه الرسالة من الناحية التواصلية بكونها:

- ذات طابع لفظي؛ يظهر في "الأمر والنداء"، وهما تركيبان موجودان في كل اللغات.
- -لا تخضع قيمتها الإخبارية لأحكام تقييمية؛ لأنها ترد في أسلوب إنشائي.

لذلك نجد هذه الوظيفة تفرض وجودها بكثافة في الأدب الملتزم، والروايات العاطفية اللذين يعتمدان على مخاطبة الآخر، وينشدان التأثير عليه وإقناعه أو إثارته.

3- الوظيفة الانتباهية «la fonction phatique» أو وظيفة إقامة الاتصال «La

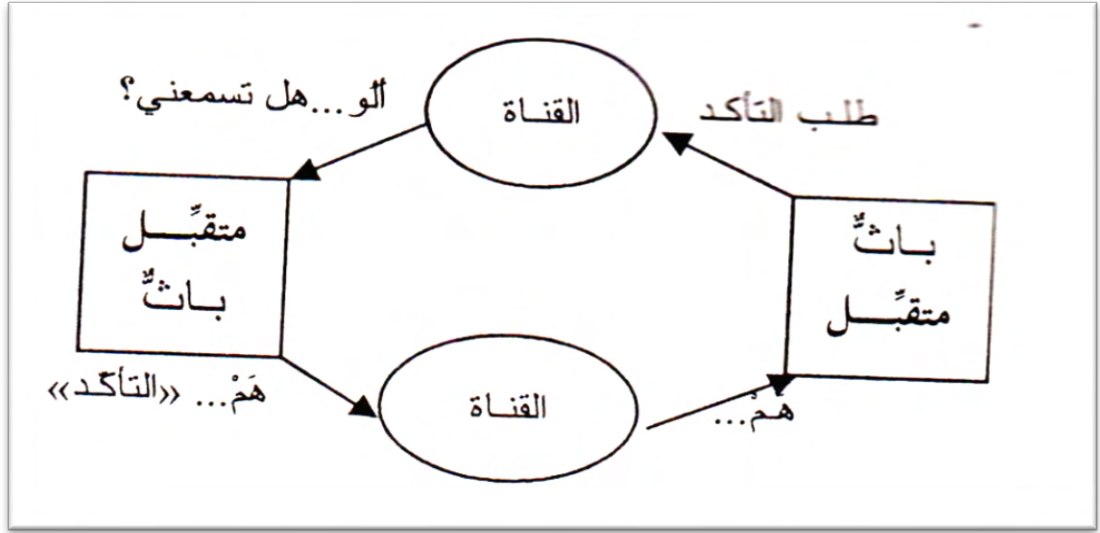
fonction de contact»: عادة ما تستعمل في العملية التواصلية أنماط لغوية تقوم بأدوار خارجة عن نطاق الخطاب الإبلاغي، فتحدد قليلا عن دائرة الرسالة، إلى التأكد من مرورها ومن أجل أن يبقى الاتصال بين المحاورين قائما، بحيث لا يتراخي انتباه المستمع، ولا تتسبب الضوضاء الخارجية في انقطاع الاتصال، وتشتت انتباه المتلقي عن الرسالة، على سبيل المثال: ألو (الهاتف)، أليس كذلك، قل، إذا أردت، إيه، كما ترى... وما إلى ذلك. وهو ما ذهب إليه جاكسون عندما أقرّ بأنّ «هناك رسائل تُوظف في الجوهر لإقامة التواصل وتمديده أو فصمه، وتوظف للتأكد ممّا إذا كانت دورة الكلام تشتغل "ألو! أسمعني؟"، أو بالأسلوب الشكسبيري "أستمع إلي!"* ومن الجانب الآخر هم-هم»⁽²⁾.

فيشترك كلّ من الباتّ والمتقبّل في صنع هذه الوظيفة، ويمكن توضيح ذلك في الرسم

البياني التالي:

¹ رومان جاكسون، قضايا الشعرية، مرجع سابق، ص 29.

² روما جاكسون، قضايا الشعرية، مرجع سابق، ص 30.



نلاحظ أنّ أداة التأكيد على سلامة الممر وتحوّل إلى رسالة لها مدلول عميق وطويل يستمرّ مداها حوارا تامّا ويأخذ حيّزا كبيرا في الفضائين الزماني والمكاني. فالوظيفة الانتباهية للغة نقلٌ عندها القدرات العقلية ويشترك فيها الإنسان مع الطيور الناطقة أو حتّى المظاهر الأولى للغة الطفولية، والتي ليس لها هدف آخر سوى خلق اتّصال اجتماعي مع الأم ومع من حوله؛ إذ تنفجر الحبال الصوتية بسلسلة أصوات لا نفهمها لكنها قابلة للتأويل نفسيا.

4- وظيفة ما وراء اللغة (تعدي اللغة) «la fonction métalinguistique»: كي يحصل اتّصال حقيقي بين المرسل والمرسل إليه، يجب أن يكون لذيها عددٌ معيّن من العناصر التي تشكل مادة الرّسالة: الكلمات والرموز والعلامات... طرفا العملية لهما معرفة بالسّنن (الكود) الذي يساعدهما على إنتاج الرّسائل.

فهي تتعلّق باللغة المستعملة وكلّ ما يساعد على توضيحها، «فتشمل عناصر بنية اللغة، وتعريف المفردات ليتأكد طرفا الخطاب من أنّ التخاطب قائم على التفاهم المتبادل»⁽¹⁾، مثلا: المعلم في استجوابه لتلميذه، والأب في الرّدّ على ابنه يستخدم كل منهما

¹ أحمد عزوز، المدارس اللسانية - أعلامها ومبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي -: دار الرضوان، وهران، الجزائر. 2008. ص 123.

مصطلحات لغوية يفهمها الآخر جيدا، فنلاحظ في خطابهم تتابعا وتغيرا ومشاركة، وهو ما يعنيه مصطلح اللغة الفوقية.

وتكون الحاجة ماسة لمثل هذه الرسائل حال ما يحسّ أحد المتواصلين أو كلاهما بضرورة التأكد من الاستعمال الصحيح للسنن (اللغة) التي يستعملانها في العملية التواصلية: «يتساءل المستمع: إنني لا أفهمك، ما الذي تريد قوله؟ ويسبق المتكلم بسؤال: أتفهم ما أريد قوله؟»⁽¹⁾.

5- الوظيفة المرجعية «la fonction référentielle» (أو التعيينية أو التعريفية): تتركز الوظيفة المرجعية على الموقف أو السياق أين تُستخدم اللغة للإبلاغ عن موقف ما، لوصف وشرح البيانات، وللإخبار عن حدث (حقيقي أو خيالي)، وللتعبير عن رأي، ويمكن أن تكون هذه الإشارة جزءا من العالم الخارجي أو العالم الداخلي للمتحدث أو الكاتب، مثال:

- الق نظرة على هذه السيارة. (المرجع الخارجي/ الحالي).

- أما زالت صورة السيارة ماثلة في ذهنك؟ (مرجع خارجي/ غائب).

- السيارة التي أريتك في المعرض بيعت. (مرجع داخلي أو نصي).

هذه الوظيفة تجعل من الممكن الإشارة إلى العالم من حولنا، فهو المرجع، وتتلون كل رسالة بهذه الوظيفة عندما يكون محتواها مؤيدا للأخبار الواردة فيها « باعتبار أنّ اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها، وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المُبلّغة»⁽²⁾، أو بتعبير إميل بنفينيست [Emile Benveniste] إنّ «دور الدليل استعاضة وأخذ مكان شيء ما فيوحي لنا أنّه ناب عنه»⁽³⁾؛ أي أنّ الدليل أو العلامة اللغوية بطبيعتها النيابية تستعمل في العمليات التخاطبية باعتبارها نائبة عن أشياء نتحدث

¹ رومان جاكسون، قضايا الشعرية، مرجع سابق، ص 31.

² عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، مرجع سابق، ص 159.

³ إميل بنفينيست، مشكلات اللسانيات العامة، ص 48.

عنها بدل استحضارها داخل السياق الخطابي، وتعتبر الأشياء في قضايا خطاب ما «ألفاظ مرجعية» باصطلاح جاكبسون.

6- الوظيفة الشعرية أو الجمالية «La fonction poétique ou esthétique» ويطلق عليها أيضا الوظيفة (الإنشائية أو الأدبية):

تمارس هذه الوظيفة عندما تُتخذ الرسالة كموضوع للتأمل، وينتج عن سماعها أو قراءتها المتعة ويصبح عملا فنيا، ويبقى في ذاكرة الناس، كما هو الحال مع القصيدة والرواية والمسرحية، بشرط أن يعبر نصّها الأجيال ويبقى على قيد الحياة.

وهو مصطلح وضعه جاكبسون يقتصر المفهوم على الفن اللفظي، ويقوم على افتراض شكلي يجعل النصوص الشعرية موضوعا مطلقا، ويعتمد جماله كليًا على وضع شكله.

تندمج الوظيفة الشعرية مع هذا التفصيل الذي يسلط الضوء على الجانب الواضح من العلامات، والتي لم تعد تجعل الرسائل وسيلة اتصال بسيطة بل غاية في حد ذاتها.

ويعرف جاكبسون هذه الوظيفة على أنّها إسقاط مبدأ تكافؤ محور الاختيار على محور الجمع، على الأقل بدقّة الرسالة التي تتمحور حول نفسها⁽¹⁾.

فالوظيفة الشعرية تدخل ديناميكية في حياة اللغة، ودونها تصبح ميّنة وسكونية، وهي موجودة في كلّ أنواع الكلام، لكن قد تتشابك الوظائف اللغوية، إلا أنّ غلبة إحدى هذه الوظائف في خطاب معيّن هو الذي يطبعه بطابع معيّن.

¹ Georges Mounin, dictionnaire de la linguistique: Qadrigue ducos poche, p 142-143.

- ينظر: جورج مونان، معجم اللسانيات، ترجمه جمال الحضري المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، 2012. ص 494-495.

المحاضرة الثامنة

مستويات التحليل اللساني المستوى الصوتي / الفونولوجي

- تمهيد

1- مفهوم التحليل اللساني

أ- التحليل

ب- التحليل اللساني

2- المستوى الصوتي / الفونولوجي

3- مفهوم الصوت اللغوي

4- أقسام علم الأصوات

أولاً: علم الأصوات العام

1- علم الأصوات النطقي / الفيزيولوجي

2- علم الأصوات الفيزيائي / الأكوستيكي

3- علم الأصوات السمعي

ثانياً: علم الأصوات الوظيفي / الفونولوجيا

1- مفهوم التحليل اللساني:

أ- التحليل:

■ لغة: لفظ التحليل له معاني كثيرة، منها: ما جاء في المعجمات القديمة بمعنى ضد التحريم، ولكنه يستعمله بمعنى مخالف وإن كان له قرابة مع الأول، فجاء في مادة حلّ في كتاب العين: "وتقول حللت العقدة أحلها إذا فتحتها فانحلت"⁽¹⁾، وعرفه ابن فارس بقوله: "وأصلها كلها عندي في الشيء لا يشد عنه شيء. يقال حللت العقدة أحلها، ويقول العرب: يا عاقد اذكر حلا"⁽²⁾.

وفي المعجمات الحديثة، جاء هذا اللفظ بمعنى مقارب جدًا لما أريد له في هذا المقياس، جاء في المعجم الوسيط: "حلل العقدة حلّها، والشيء رجعه إلى عناصره، يقال حلّ الدم...، ويقال حلّ نفسية فلان درسها لكشف خباياها"⁽³⁾، فنكر معاني محدثة.

■ اصطلاحاً: التحليل عكس التركيب، ويعني إرجاع الكل إلى أجزائه، ويعرّف في الاصطلاح بأنه "منهج عام يراد به تقسيم الكلّ إلى أجزائه، وردّ الشيء إلى عناصره"⁽⁴⁾، فهو نشاط التفكير لتقسيم موضوع إلى أجزائه أو مكوناته حتى يتمّ التعرف على خصائصه أو علامات كلّ جزء وعلاقات بعضها ببعض.

ب- التحليل اللساني: يقصد بالتحليل اللساني تفكيك الظاهرة اللسانية إلى عناصرها الأولية التي تتألف منها، اعتماداً على طرق علمية قياسية، باستعمال الملاحظة والمعينة، وفق المنهج الوصفي التحليلي، لغرض استخراج القواعد المنظمة له... وتتنوع طرائق التحليل اللساني تبعاً لتنوع المستوى الذي تنتمي إليه الظاهرة اللسانية المراد تحليلها، إلى المستوى الصوتي أو الصرفي، أو التركيبي أو الدلالي...

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين: تحقيق عبد الحميد هنداوي، مادة حلل، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص234.

² ابن فارس، مقاييس اللغة: تح/ عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دط، دت. ج2، ص14.

³ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية، 2008. جزء 01، باب الحاء، ص194.

⁴ يحي الهويدي، قصة الفلسفة الغربية: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م. ص 52.

2- المستوى الصوتي/الفونولوجي:

تعود العناية بالصوت اللغوي إلى فترة مبكرة من تاريخ الفكر الإنساني، للدور المنوط به في عملية التواصل والإبلاغ بين أفراد الجماعة اللغوية؛ وقد ارتبطت الدراسات الأولى باللغات التي كُتبت بها الكتب المقدسة، قصد حمايتها من اللحن الذي يمكن أن يتسرب إليها مع توالي الأجيال وابتعادها عن الفصاحة، وحفاظا على النطق الفصيح.

وينقل عن الهنود أنهم أول من تصدى للدراسة الصوتية، وأوجدوا لها علما له منهج (وصفي)، وقواعد ومعايير للقراءة⁽¹⁾، فعالجوا ماهية الصوت، واستطاعوا أن يفرقوا بين الصوت الفيزيائي العام والصوت الفيزيولوجي الخاص، ووصل بهم الأمر إلى تدوين أول وصف للأصوات اللغوية، قصد التشديد على إبقاء اللفظ الصحيح الفصيح لعبارة الكتاب المقدس⁽²⁾.

كانت الحال -كذلك- عند العرب، حين انبرى رعييل من العلماء -ابتداء من صدر الإسلام- يتصدى للحن الذي أخذ يستشري مع دخول الملل من الأعاجم إلى الإسلام، وتحتّم عليهم قراءة القرآن الذي نزل بلسان عربيّ مبين، لأداء العبادات المفروضة، وتعلم اللغة وإنّ اكتساب السليقة لا يكون بين عشية وضحاها، فأردوا وضع معايير تهوّن المدّة وتمدّد بالعدّة.

وكانت البداية مع "الخليل" في كتاب "العين"، حين أرتأى إعادة النظر في ترتيب الأصوات القديمة، إدراكا منه لأهمية الصوت اللغوي في الدراسات اللغوية المتخصصة، فأشار إلى أبعادها من ينابيعها الأولى، فوضع يده على الأصول في انطلاق الأصوات من مخرجها الدقيقة، وأفرغ جهده الدؤوب في التماس المسميات فطبق بها المفصل، وتمكّن من استنباط طائفة صالحة من الأسرار الصوتية⁽³⁾، وبذلك فتح المجال واسعا إلى معرفة خصائصها

¹ أحمد حساني، مباحث في اللسانيات: منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الإمارات. ط2، 2013. ص156.

² جورج موان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى غاية القرن العشرين: تر/ نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة، دمشق، ص65.

³ محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن: دار المؤرخ العربي، بيروت. ط1، 2000، ص22.

ومخارجها وصفاته. وتبعه تلميذه سيبويه حتى تبلغ النّضج مع ابن جنّي ومن تأخّر عنه.

3- مفهوم الصّوت اللغوي:

نظر العلماء للصّوت من جوانب مختلفة، فابن منظور عمّم ثم خصّ الصّوت اللغوي بالقول: "الجرس. والجمع أصوات والصّوت صوت الإنسان وغيره، والصّائت: الصّائح، ورجل صيت: أي شديد الصّوت"⁽¹⁾. وكذلك الحال عند ابن سينا حين عبّ على تعريف الصّوت الفيزيائي ثم خصّ الصّوت الفيزيولوجي بالقول: "إنّ القرع ليس سبباً كلياً للصّوت وأنّ الصّوت قد يحدث أيضاً عن مقابل القرع وهو القلع ... والصّوت تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أيّ سبب كان"⁽²⁾.

ويعرّف الصّوت في الاصطلاح بأنه " ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصّوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أنّ كلّ صوت مسموع سيتلزم وجود جسم يهتز"⁽³⁾. وهذا ينطبق على مفهوم الصّوت بصفة عامّة.

أمّا الصّوت اللغوي فهو "أثر سمعيّ يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق. والملاحظ أنّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدّلة وملائمة لما يصاحبها من حركات الضّم بأعضائه المختلفة"⁽⁴⁾. فالصّوت اللغوي ينتج عن عمل أعضاء جهاز النطق البشرية.

4- أقسام علم الأصوات:

تتطلق دراسة مستويات التحليل اللساني من الدّراسة الصوتية بعدّ الصّوت يمثل أدنى وحدة منطوقة يمكن أن يقف عندها التقطيع اللساني. وينضوي تحت هذا العلم فرعان كبيران

¹ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن محرم): لسان العرب: مجلد7، مادة (صوت) دار صادر، بيروت. لبنان. ص320.

² ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليّة الأزهرية، القاهرة، 1978، ص07.

³ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1971، ص6.

⁴ كمال بشر، علم الأصوات: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000. ص119.

وينظر: تمام حسان، مناهج البحث اللغوي: ص59.

يفترقان في طبيعة المادة التي يدرسها كلّ منهما، فعندما الاهتمام بالأصوات اللغوية باعتبارها وحدات فيزيائية يمكن وصفها دون الحاجة إلى ربطها بلغة بعينها، نكون بصد علم الأصوات العام (الصوتيات)، ويعرّب "الفونيتيك" (phonetics)، وعندما يكون الاهتمام بالأصوات اللغوية من حيث وضعها في إطار اختلافاتها الصوتية وتشابهاتها، التي تحدّد وظيفيًا داخل لغة معيّنة، نكون بصد علم الأصوات الوظيفي ويعرّب "الفنولوجيا" (Phonology).

أولاً: علم الأصوات العام / "الفونيتيك" (phonetics)

هو علم تجريبي موضوعي، يتناول الأصوات اللغوية بالوصف بعدّها مادة طبيعية، بغضّ النظر عن معانيها في لغة معيّنة أو عن قيمتها التمييزية، فيدرس المادة الصوتية وخواصها، من دون الاعتناء بالوظائف التي تؤديها في البنية الصوتية، فيدرسها « من حيث كونها أحداثاً منطوقة بالفعل.. لها تأثير سمعي معيّن.. دون نظر في قيم هذه الأصوات أو معانيها في اللغة المعيّنة: إنّه يُعنى بالمادة الصوتية لا بالقوانين الصوتية وبخواص هذه المادة أو الأصوات بوصفها ضوضاء، لا بوظائفها في التركيب الصوتي للغة من اللغات»⁽¹⁾.

ويتفرّع إلى فروع ثلاثة، هي:

1- علم الأصوات النطقي / الفيزيولوجي (Articulatory or physiological phonetics):

يعتني بأعضاء النطق وبكيفية حدوث الأصوات اللغوية، فهو ينظر في حركة أعضاء النطق عند المتكلم عند إنتاج الأصوات اللغوية، لأجل تعيين الأعضاء التي تسهم في إنتاجها وتحديد أدوارها، مع ضبط مخارج الأصوات وصفاتها، و"هي مرحلة النطق وإخراج الأصوات إلى الوجود باستخدام جميع أعضاء الجهاز الصوتي"⁽²⁾.

¹ كمال بشر، علم الأصوات: ص 66.

² خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات: ص 44.

أ- أعضاء النطق: الأعضاء التي تسهم في حدوث الصوت اللغوي هي (1):

- القصبة الهوائية: يجري الهواء في القصبة الهوائية مندفعاً جزأً ضغط الرئتين باتجاه الحنجرة.
 - الحنجرة: يمرّ الهواء عبر الحنجرة، وقد يؤدي إلى اهتزاز الوترين الصوتين أو عدمه، وفي كلّ حالة يؤدي إلى حدوث صفة في الصوت تختلف عن الأخرى من حيث الجهر والهمس.
 - تجويف الحلق: يقع الحلق بين الحنجرة والفم، يبدأ من فوق الحنجرة مباشرة، وينقسم إلى قسمين: يكون أحدهما بداية التجويف الفموي والآخر بداية التجويف الأنفي. وهو بمثابة غرفة رنين مسؤولة على تبيير الصوت وكسوته بسمات خاصة، وهو مخرج حرفين عربيين، هما: الحاء والعين.
 - اللسان: للسان أقسام لها تأثير على توزيع مجرى الهواء بحكم موقعه داخل الفم وحركته المتنوعة، وهي: حدّ اللسان، مقدمة اللسان وطرفه، ووسط وأقصاه، حدّ اللسان وذلقه.
 - الحنك الأعلى: هو عضو ثابت، ويكون تأثيره باحتكاك اللسان به في أوضاع مختلفة.
 - الفراغ الأنفي: وهو فراغ ثابت الحجم داخل الأنف، وهو العضو المسؤول عن صفة الغنة من خلال اندفاع الهواء من خلاله مع بعض الأصوات الأنفية كالميم والنون.
 - الشفتان: تتخذ الشفتان في أثناء النطق وضعيات مختلفة متغيرة؛ من انطباق وانفراج واستدارة وسكون، وفق ما يستدعيه نطق بعض الأصوات.
- ب- مخارج الأصوات: المخرج أو موضع النطق (Point d'articulation) هو مكان النطق الذي يحدث فيه التصويت، ويدعى أحياناً بنقطة النطق حيث يحدث الاعتراض حسباً أو تضييقاً لعمود الهواء المنبعث من الرئتين كما في الأصوات الصامتة التي تحدد أساساً عن طريق المخرج ودرجات الانفتاح وصفات النطق.

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص 17.

وموضع النطق بصيغة المفرد لا تعني أنّ الصّوت المعني صدر عن عضو واحد، فقد يشترك عضوان أو أكثر في صناعة الصوت، وقد يكون موضع النطق هو نقطة التقاء عضو بآخر، لذا فما يطلق عليه صوت لهوي، أو غاري، لا يعني أنّ اللهاة أو الغار وحدها تُعتدّ مواضع النطق، وإنما تشترك الأعضاء الأخرى في العملية الإنتاجية وفق هيئة التشكيل البنائية للصوت .

ومخارج أصوات العربية الفصحى كما حدّدها المحدثون عشرة؛ كما ذكرها تمام حسان في كتابه " مناهج البحث في اللغة"⁽¹⁾، وهي:

1. المخرج الشفوي (bi-labiales): ب، م، الواو (المتحركة غير المدية، وهي أيضا من أقصى الحنك وتدخل الشفتان في تكوينها دخلا كبيرا).
2. المخرج الشفوي الأسنانّي (labio-dentales) الفاء (ف).
3. المخرج الأسنانّي (dentales) مع حد اللسان: ث، ذ، ظ. (نُسبت للأسنان تغليبا وذلك لفاعلية عضو ودوره البارز في إنتاج الصوت).
4. المخرج الأسنانّي اللثوي (dent-alvèolaires): ض، د، ط، ت، ز، ص، س.
- 5- المخرج اللثوي (alvèolaires): ل، ن، ر.
- 6- المخرج الغاري (palatales): ش، ج، ي. (الغار + مقدم اللسان).
- 7- المخرج الطبقي (vèlaires): ك، غ، خ. (الطبق + مؤخر اللسان).
- 8- المخرج اللهوي (uvulaires): ق
- 9- المخرج الحلقي (pharyngales): ع، ح (بتقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق).
- 10- المخرج الحنجري (glottales): ه، الهمة (ء). ويكون نتيجة إغلاق الوترين الصوتيين عند نطق الهمة ، وبتضييقهما فقط عند نطق الهاء.

ج- صفات الأصوات⁽¹⁾: هناك ثمانية وعشرون صوتا في اللغة العربية، وتعرف بالألفبائية، ويكثر ورودها في الكلام، وتتّصف هذه الأصوات بصفات الشّدة والرّخاوة،

¹ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: ص 84. وينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات: ص 106.

والليونة، والجهر والهمس.

- **الأصوات المجهورة:** هي الأحرف التي ينحبس معها الهواء انحباسا تاما أثناء التلظف بها، وهي: (ء ، ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ط ، ظ ، ع ، ق ، ل ، م ، ن ، و ، ي)
- **الأصوات المهموسة:** هي الأحرف التي يكون فيها الانحباس ناقصا عند التلظف بها، وهي: (ث ، ت ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ف ، ك ، ه).
- **الأصوات الشديدة:** سميت شديدة لأنّ الهواء يجد عارضا يعترضه أثناء عملية النطق، فيحبس عند هذا الاعتراض، وهي: (ب ، ت ، د ، ط ، ض ، ك ، ق ، أ).
- **الأصوات الرخوة:** وسميت كذلك لأنها تسمح بخروج القليل من الهواء عند إحداثها أو التلظف بها، وهي (ث ، ذ ، ظ ، س ، ز ، ش ، خ ، غ ، ح ، ع ، ه).
- **الأصوات الأنفية:** هي (م ، ن)، ويسهم فيها الأنف مع الفم في عملية إخراج الهواء أثناء التلظف بها.
- **الحروف النطعية:** هي الحروف التي تتميز بانحراف اللسان نحو مقدمة الحنك الأعلى وتعرف هذه المنطقة بالنطع، وهي (ل ، ر)، ويعرف حرف الراء أيضا بالحرف المكرر.
- **حروف بينية:** تتميز بالشدة والرخاوة معا، ومنها حرف (ج)، لأنه ينطق كالدال عند بدء النطق به، وينتهي قويا مدويا مجهورا كحرف (ش).

2- علم الأصوات الفيزيائي / الأكوستيكي (acoustic or physical phonetics):

فرع من علم الأصوات يهتم بدراسة كيفية انتقال الأصوات عن طريق الأذن الخارجية وصولا إلى السامع وانتهاء بالأذن الداخلية من المتكلم وصولا إلى السامع، ويمثل مرحلة وسطى بين علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السّمعِي، ويدرس التّركيب الطّبيعي للأصوات: من حيث تردد الصّوت، وسعة الذّذبّة، وطبيعة الموجة الصّوتية وسرعة انتشارها

* الحرف والصوت: الحرف ما يكتب؛ فهو رسم اعتاده القارئ وأدركه، أما الصوت فهو الذي ينطق ولا يدرك بالعين، وإنما يدرك بالسمع.

¹ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: ص86.

في الهواء ... وظاهرة الحزم الصوتية؛ بحيث تصنف الأصوات كظاهرة فيزيائية إلى صنفين:
 - أصوات موسيقية ذات نذببات منتظمة، وهي الصوائت.
 - أصوات ضوضائية (غير موسيقية)، وهي الصوامت.

3- علم الأصوات السّمي / (Auditory or phonetics):

يُعدّ من أحدث فروع علم الأصوات، فهو يدرس الأصوات وتحليلها بوصفها موجات صوتية (مشفرة)، منذ وصولها إلى الأذن إلى إدراكها على مستوى الدماغ (فكّ شفرة الكلام)؛ إذ يقوم بدراسة تشريحية للجهاز السّمي، بعده الآلة المستقبلية، فيحلل العملية السّمية اعتماداً على خصائص مكوناتها وآثار الصّوت فيها⁽¹⁾. وتتمّ الاستعانة بمختلف الآلات والأجهزة التي يوفرها المخبر الصوتي، حتّى تضمن الوصف الدّقيق والتشخيص الصحيح.

ثانياً: علم الأصوات الوظيفي / الفنولوجيا (phonologie) :

فروع من فروع اللسانيات، يهتمّ بدراسة وظائف الأصوات في لغة معيّنة قصد الوقوف على العناصر المكوّنة لنظامها اللّغويّ، واستنباط القوانين التي تحكمها، فهو علم يدرس الصّوت داخل بنيته اللّغوية لمعرفة الوظيفة التي يؤديها.

من أهم الظواهر التي يدرسها: الفونيم، المقطع، النّبر، التّغيم⁽²⁾.

أ- الفونيم (The phoneme): ظهر مصطلح الفونيم عند رواد الفونولوجيا سنة (1873م)، ليصبح أساس التّحليل الفونولوجي الحديث ومن أهم المباحث الصّوتية التي أثّرت على الدّرس اللّساني الغربي بكثرة النّظريات والتّطبيقات.

أمّا في الدّرس اللّساني العربي الحديث، فقد تعدّدت ترجمات هذا المصطلح كثرة، فترجم: وحدة صوتية، صوت، صوتم، صوتيم، مصوّت، صوتون، لافظ، فونيم، فونيمية... وتعدّد المصطلحات التي تعبّر عن مفهوم الفونيم ينبئ عن الاختلافات في تعريفه الفونيم، لاختلاف مناهج العلماء وتصوراتهم للصّوت واللغة. ونذكر بعضها فيما يأتي:

¹ كمال بشر، علم الأصوات: ص 41.

² حلمي خليل، الكلمة: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط2، 1992. ص 35.

- سابير (Sapir) ومن سار في ركبه من أصحاب الاتجاه الذهني (النّسي)، يرى أنّ الفونيم هو جزء من البنية الذهنية اللّغوية لدى أفراد البيئّة اللّغوية الواحدة. وهو ذو وجود عقلي مثالي، كونه أنموذجا غير منطوق، نحاول تقليده في النّطق، ولكننا نفشل في إنتاجه تماما كما نريد، أو بالصّورة نفسها التي نسمعه بها.

- دي سوسير في نظريته الثنائية للفونيم، إذ هو حدث منطوق من جهة، ومسموع من جهة ثانية، ويعتبره " مجموع الانطباعات السمعية والحركات النطقية، للوحدتين: الكلامية، والمسموعة، اللتين تشترط إحداهما الأخرى"⁽¹⁾، والوصف العضوي للصوت عن طريق رصد أعضاء التّصويت لا يكفي، وضروريّ أن نعتمد على الأثر السّمي الذي له أثر تمييزي بارز؛ فعند سماع الكلام يتمّ إدراك إن كان الصّوت يُنطق بصفاته الممثلة له أم لا.

- أمّا دانيال جونز والاتجاه البنائي فينظرون إلى الفونيم على أنّه قيمة نطقية يتنوع في السياقات البنائية المختلفة. ويعرّفون الفونيم على أنّه: "عائلة أو مجموعة من أصوات اللغة، المتقاربة سماعا ونطقا، والتي لا تظهر مطلقا في نفس الإطار الصوتي"⁽²⁾. فالفتحة في كلمة "درب" ليست هي نفسها في كلمة "ضرب"، فالأولى مرقّقة والثانية مفخّمة، فلا يمكن لصورتها الفتحة هنا أن تتبادلا المواقع، فلو نُطقت الفتحة الثانية مرقّقة وهي مجاورة للضاد لقلبت الضاد دالا، وصارت كلمة أخرى "درب".

- ومفهوم الفونيم عند رواد الاتجاه الوظيفي كجاكسون و تروبتسكوي قائم على اعتبار الدلالة التي يؤديها، بإحداث تغيير في المعنى إيجابا وسلبا، فالإيجاب فيظهر في أن الفونيم جزء رئيس من بناء الكلمة يؤدي معنى مفيدا بتضامه وسائر عناصرها للدلالة على معناها، بحيث إذا أسقطت الكلمة معناها مثل فونيم الباء في كلمة (طاب).

وأما السلب فيكون حين يحتفظ بالفرق بين الكلمة التي هو فونيم فيها والكلمات الأخرى مثل: (طال).

¹ فرديناه ده سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ص 57.

² ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات: ص 144.

ويعرّف تروبتسكوي الفونيم بأنه: "أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس"، يؤدي وظيفة تمييزية، وفق ما يأتي (1):

- إذا كانت صورتا الفونيم تظهران في الموقع الصوتي نفسه، وحلول إحداها محل الأخرى يؤدي إلى تغيير المعنى، فهما صورتان لفونيمين مختلفين. مثل: [ق...ال]، [س...ال]، [ن...ال]، والأمر نفسه في التقابل بين الحركات: [بُر]، [بِر]، [بِرّ]..
- إذا كانت صورتا الفونيم تظهران في الموقع الصوتي نفسه، وحلول إحداها محل الأخرى لا يؤدي إلى تغيير المعنى، فهما صورتان اختياريّتان لفونيم واحد. مثل: فونيم القاف في كلمة (قلب) له صور صوتية متعددة (Allophones): فينطق قافا أو قافا معقودة أو همزة أو كافا...

- إذا كانت صورتا الفونيم متقاربتين من الناحية السمعية أو النطقية، ولا تظهران في الإطار الصوتي نفسه؛ فهما صورتان إجباريتان لفونيم واحد. مثل فونيم النون تتعدّد صورته ولا تحلّ إحدى صورته محلّ الأخرى؛ مثلاً: (ينبح) تنطق (يمبح)، وتصبح صورة شفوية، و(من رأى) تنطق (مرأى)، وهي صورة تكرارية، و(من لام) تنطق (منلام)، صورة انحرافية، و(من يعمل) تنطق (ميعمل)، وهي صورة فيها غنة... وأصل هذا كله هو النون اللثوية الأنفية المجهورة المرققة، لكن مقتضى المجاورة في السياق بين الأصوات لا يحقق إلا صورة فرعية من صور النون المتعددة.

إنّ هذه التتوعات الصوتية لوحدة صوتية معينة تسمى الألوكونات (allophones)، وهي "عنصر من عناصر الفونيم تغييره لا يغيّر المعنى" (2). وتجمع الآراء على أن هذا العنصر أو الصورة الصوتية هو صوت حقيقي، في حين أن الفونيم ليس صوتاً منطوقاً - في معظم الآراء - إذ لا يمكن له أن يتحقق إلا عن طريق عناصره.

¹ عبد الرحمان الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، اللسانيات، مجلة في علوم اللسان، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، 1997، العدد 7، ص 12-13.

² كمال بشر، علم الأصوات: ص 482.

ويمكن للألوفون أن يكون عنصرا اختياريا كتعدد صور الجيم والقاف - كما سبق - كما يمكن أن يكون عنصرا إجباريا تحدده مواقع معينة في السياق، يتعذر التبادل فيما بينها، كصور النون السابقة، وكألوفون اللام في لفظ الجلالة (الله)، فهو مفخم في (قال الله)، ومرقق في (بالله)، إذ لكل منهما موضع معين لا يتعداه إلى غيره.

ب- المقطع (syllabe): هو مجموعة من الفونيمات التركيبية المركبة وفق نظام معين في لغة معينة، وهو أكبر من الصوت وأصغر من الكلمة⁽¹⁾. وتختلف أشكاله تبعا لقواعد كل لغة، لذلك اختلف الدارسون في تحديد مفهومه؛ فهناك من يحدده تحديدا صوتيا، وهناك من يحدده تحديدا فونولوجيا، بالنظر إلى دوره في بناء الكلمة، ومهما كان التعريف دقيقا، فلا ينطبق على كل اللغات⁽²⁾.

-المقطع في اللغة العربية: هو مزيج من الصوامت تليها الصوائت، وأصغر مقطع ما تألف من صامت وصائت، وقد يكون المقطع الواحد كلمة مستقلة، وقد يكون جزءا من كلمة.

ويوجد في العربية خمسة أشكال من المقاطع هي:

1. **مقطع قصير مفتوح** = صامت + صائت قصير (C V)، وهو المقطع الذي تتكوّن منه

الأفعال الثلاثية المجردة في صيغة الماضي، مثل: ضَرَبَ، أَكَلَ، ... إذ تتألف من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة، غير أن ورود أكثر من ثلاثة مقاطع من هذا النوع في الكلمة العربية المجردة من اللواحق فممنوع ومكروه، وهو قليل في الكلمات التي بها

لواحق مثل قولنا: شَجَرْتُكَ وتقابل: CV.CV.CV.CV.CV

2. **مقطع متوسط مفتوح** = صامت + صائت طويل (CVV)، وتتكوّن منه كلمات كثيرة في

العربية شريطة ألا يتكرّر ثلاث مرات في الكلمة المجردة.

أما في الكلمة التي لحقت بها زيادة فكثير، نحو: زَارُوها = CVV.CVV.CVV،

ومنه أيضا حرف الجر "في" وما جرى مجراها.

¹ توجد كلمات أحادية المقطع.

² كمال بشر، علم الأصوات: ص 504.

3. مقطع متوسط مغلق (مقفل) = صامت + صائت قصير + صامت (CVC)، وتأتي منه كلمات كثيرة مثل: حرف الجر (مِنْ)، ويأتي في بداية الكلمة مثل: (نُبْلٌ) = CVC.CV ، ووسطها مثل، (يُدْخِرُجُ) = CV CV .CV.CVC ، وآخرها مثل: (عَمِيقٌ) = CV. CVV. CVC

4. مقطع طويل مغلق = صامت + صائت طويل + صامت (C V V C)، مثل: (بَابٌ).

5. مقطع طويل مضاعف الإغلاق = صامت + صائت قصير + صامت + صامت (C V C C) مثل: (عَبْدٌ)

وتتمتج المقاطع الثلاثة الأولى بطرق مختلفة لتكوّن جلّ الكلام العربي، أمّا المقطعان الأخيران فقليلا الورد ولا يسوّغان إلّا في حالات محدّدة جدّا، مثل: الوقف، كما يكثران في النثر دون الشعر لأن الشاعر إذا صادف مثل هذه المقاطع يتخلّص منها بطرائق عروضية متنوعة.

ج- النبر (Stress): هو "هو درجة قوة النفس التي ينطق بها صوت أو مقطع"⁽¹⁾، فيُسبّب وضوحا نسبيا لمقطع في الكلمة حين يُنطق بجهد أكبر من المقاطع المجاورة، وهناك من يسميه الارتكاز.

ويعرّفه تمام حسان بأنه "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السّمع عن بقية ما حوله من أجزائها"⁽²⁾، فهو من وظيفة الصّيغة الصّرفية؛ فيقع النّبر في صيغة فاعل على المقطع (فا)، وفي صيغة مفعول على المقطع (عول)، وفي صيغة مستفعل على (تَف). وقد تنبّه إليه القدامى ونبهوا بعبارات متعدّدة، كـ "الهمز" و"مطل الحركة" عند ابن جني في "الخصائص"، و"إشباع الحركة" عند سيبويه.

ويعد النبر فونيميا في بعض اللغات لأنه يفرق بين معنى وآخر ، مثل هذه الكلمات في الإنجليزية: (import, contract, convert) إذ تعدّ اسما حين ينبر المقطع الأول، وفعلا حين نبر المقطع الثاني. هذا من الوجهة الصرفية. أما من الوجهة الدلالية فكما في

¹ محمود السمران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي: ص206.

² تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ص170.

كلمة (August) فإذا نُبر المقطع الأول كانت بمعنى شهر أوت، وإذا نُبر الثاني كانت بمعنى مهيب وجليل⁽¹⁾.

فالمقطع المنبور بقوة ينطقه المتكلم بجهد أكبر من المقاطع المجاورة له في الكلمة أو الجملة، فالنبر إذن نشاط ذاتي للمتكلم ينتج منه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع. وللنبر ثلاث درجات هي: النبر القوي، النبر المتوسط، النبر الضعيف.

وللنبر أثر في توجيه المعنى، فإذا لم يُنبر المقطع الصحيح يتغير المعنى، نحو نبر كلمة (فسقى) في قوله تعالى: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (القصص/24)، إذا قرئت كلمة (فسقى) دون نبر مقطوعها الأول يكون الفعل مشتقاً من الفسق لا من السقي.

د- التنغيم (Intonation): التنغيم "هو موسيقى الكلام"⁽²⁾، أو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام⁽³⁾؛ أي إعطاء الكلام نغمات معينة، تتكوّن بارتفاع الصوت وانخفاضه، وتلويحه بوجوه مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة، للدلالة على معانٍ مقصودة مثل: الاستفهام، والطلب، والتعجب، والغضب، والرضا، والفرح، والدهشة... وغيرها. ويكون حينها قيمة استبدالية يعبر عن غرض المتكلم، ويُعوّض الأدوات النحوية، نحو:

- قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ (يوسف/29)، حذف حرف النداء واستُبدل بقيمة تعبيرية هي التنغيم.

- وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ (التحریم/1)، حذف حرف الاستفهام وأقيم التنغيم مكانه، والتقدير: أتبتغي؟

¹ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات: ص 163.

² كمال بشر، علم الأصوات: ص 533.

³ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: ص 164.

المحاضرة التاسعة

مستويات التحليل اللساني 2 - المستوى الصرفي / المورفولوجي

عناصر المحاضرة:

- تمهيد:

أولا - مفهوم المورفيم

ثانيا- أنواع المورفيم

ثالثا- علاقه الصّرف بالصّوتيات

رابعا- علاقه الصّرف بالنّحو

خامسا- علاقه الاشتقاق بالتّصريف

سادسا- دلالة الصّيغ الصّرفيّة

أ- دلالة صّيغ الأفعال

ب- دلالة صيغ الأسماء

سابعا- أثر التّغيرات الصّرفية في الفروق الدّلالية بين الاسم والفعل

- المستوى الصرفي:

- تمهيد:

عرفنا في المحاضرة السابقة أنّ علم الأصوات يُعنى بالأصوات مفردة غير مركبة في عنصر لغوي، وهذا المستوى الصرفي يُعنى بالأصوات وقد انتظمت في وحدة لغوية تُسمى المورفيم (Morpheme)، ويُطلق على العلم برمته (علم الصرف أو المورفولوجيا /Morphology)، فيبحث في الاشتقاق والتّصريف، ومحور بحثه أصل الكلمة، وصيغتها، ووزنها، وتحديد الزائد والأصليّ من أصواتها.

يُعرف بأنّه علم يُعنى بدراسة الكلمة من حيث الوحدات الصرفية، وأحوال الكلمة من حيث أفرادها، وتثنيها، وجمعها، وتعريفها وتذكيرها، وتأنيتها، وأحوال الفعل في دلالاته على الزّمن، والجنس، والعدد والهيئة، والشخص. وهو العلم الذي يبحث في التّغيرات التي تلحق بنية الكلمة؛ لغرض معنويّ أو لفظي، ويراد ببنية الكلمة هيئتها أو صورتها الملحوظة، من حيث حركتها، وسكونها، وعدد حروفها⁽¹⁾. وهو قسمان:

- قسم يدرس وصفية بنى الكلمة.

- قسم يدرس وظيفة الأصوات.

وقد برز في اللسانيات الحديثة مصطلح (المورفيم) ليحلّ محل مصطلح الكلمة في الدّراسات اللّغوية القديمة؛ إذ كانت الكلمة هي الموضوع الأساسيّ في الدّرس الصرفيّ عند علمائنا القدامى، أمّا حديثاً، فقد حاول اللّسانيون الوصول إلى نظام يمكن تطبيقه على أكبر عددٍ ممكن اللّغات، إنْ تعذّر تطبيقه على اللّغات كلّها، إذ قسّموا البناء الكلاميّ إلى وحدات ذات معنى، تمثل كلّ وحدةٍ منها أصغر ما يمكن الوصول إليه في هذا المستوى، وبذلك ظهر مصطلح (المورفيم) المأخوذ في الأصل من الكلمة اليونانية: (مورف) بمعنى شكل أو صورة⁽²⁾.

¹- مدخل إلى علم الصرف، عبد العزيز عتيق: ص 70.

²- ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربيّ: ص 36.

أولاً/ - مفهوم المورفيم:

يعرف المورفيم بأنه اللَّفْظ الَّذِي يَدَلُّ عَلَى مَعَانٍ تَرْتَبِطُ بَيْنَ (الماهيات)⁽¹⁾، وقد تعدّدت المصطلحات التي تُطلق عليه، فهو: المونيم، والوحدة الصّرفية، والوحدة الدّالة، واللفظ، والصّيغ، والصّرفية، والصّرفيم، والصّرفيمة، والمورفيمة...⁽²⁾.

وتتنظم المورفيمات في سلاسل كلامية، ويُعدّ أدنى عنصر فيها له معنى، لذلك لا يمكن تجزئته إلى عناصر أصغر منه.

ثانياً/ أنواع المورفيم:

تقسّم المورفيمات إلى عدّة أنواع بحسب زاوية النظر، كالتالي:

➤ المورفيم من حيث ظهوره وعدمه: وهو نوعان:

1. المورفيم المستتر: ويُقسّم إلى:

أ- المورفيم الصّرفيّ: هو أن يلحق دلالة الجذر أو معناه تغيير من دون حاجه إلى المورفيم، نحو كلمة "الفلك" التي تُطلق على الجمع والمفرد وعلى المذكر والمؤنث. وهذا الصّرب من المورفيمات ذو طبيعة تركيبية لا تتجلى دلالاته إلا بالرجوع إلى السّياق الذي ورد فيه.

ب- المورفيم المتفرغ: هو مورفيم يُفرغ من وظيفته النّحوية والصّرفية، ك"ال" التّعريف التي تلصق بأسماء الأعلام، نحو: اليزيد، الحسين، اليمين... فتتخلى عن وظيفتها التّعريفية لالتحاقها بالاسم المعرف (مرجع نحوي).

2. المورفيم الظاهر: هو المورفيم الذي يُنطق في التّركيب، نحو: حرف المضارعة،

علامة الجمع أو التثنية، علامة التّأنيث...

➤ المورفيم من حيث وروده في السّياق: هو حرّ ومقيّد:

¹ محمود فهمي حجازي، المدخل إلى علم اللّغة: ص: 5.

² وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية مدارسها: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية،

بيروت، لبنان. ط1، 1440هـ/ 2019م. ص 88.

1. **المورفيم الحرّ:** هو الكلمة الجذر الخالية من الزيادة والحذف، وسمي حرًا لاستقلاله وإمكانية وروده في أي موضع من التركيب، نحو: هؤلاء، هم...
2. **المورفيم المقيد:** هو الذي يُضاف إلى مورفيم حرّ فتنشأ عنهما بنية صرفية جديدة، وسمي حرًا لأنه لا يظهر إلا متصلاً بمورفيم حرّ، وهو ثلاثة أنواع:
 - أ- السوابق (Prefix): وهي مورفيمات تأتي في بداية اللفظ، كحرف المضارعة، وميم المفاعيل، وسين الاستقبال، وهمزة التعدية...
 - ب- الدواخل (infixes): وهي مورفيمات تأتي في وسط اللفظ، وتؤدي إلى تغيير معناه، كالتضعيف في فعالة وتاء الافتعال وألف الفاعل...
 - ج- اللواحق أو الأعجاز (Suffixes): وهي المورفيمات التي تأتي في آخر الكلمة، كحروف الإعراب وحركاته، الضمائر المتصلة، وياء النسبة، ونون الوقاية...

➤ المورفيم من حيث عدد الوظائف:

- يقسم المورفين من حيث الوظائف التي تسند إليه إلى عدة أقسام:
- مورفيم ذو وظيفة ثابتة: نحو: هذا، هو...
 - مورفيم متعدّد الوظيفة: كالتاء في اللغة العربية؛ تدلّ على التأنيث، وتدلّ على المضارعة، وتدلّ على المبالغة (في مثل فهامة)...
 - مورفيم وظيفي: يضاف في بنية الكلمة لأداء وظيفة معيّنة، كنون الوقاية، وميم العماد(1)...
 - المورفيم التمييزي: يكون في كلمات بعينها نصت عليها مظان اللغة، لورودها خلاف القاعدة، كالرّازي في النسبة إلى الرّي، والطّبراني في النسبة إلى طبرية...

* تكون الميم حرف عماد إذا سبقت بألف التنثية، سواء أكان ذلك في الاسم، نحو: كتابكما جديد، أم في الفعل، نحو: ذهبتما.

وسميت عمادا لأن ألف التنثية تعتمد عليها للاتصال بما قبلها من اسم وفعل. والألف التي تأتي بعد ميم العماد هي حرف دال على التنثية، ولا محل له من الإعراب، والهاء في جمع (أمهات).

➤ من حيث أقسام الكلام:

قسّمه القدامى إلى ثلاثة أقسام: الاسم والفعل والحرف، وكان للمحدثين موقف منه⁽¹⁾.

ثالثاً/ علاقه الصّرف بالصّوتيات

هناك صلة وثيقة بين الصّرف والصّوتيات، وقد وردت في كتب النّحو والصّرف ظواهر صرفية صوتية كالقلب والإعلال والإبدال والهمز والإدغام. وإنّ أيّ إجراء صرفيّ يلحق بجذر الكلمة يرافقه تغيير في البنية الصّوتية له، وكذلك يؤدي نقل حركة إعرابية من موقع إلى آخر أو إسقاطها أو إبدالها بحركة أخرى إلى تغيير في البنية الصوتية. فعندما يتمّ تصريف الفعل على سبيل المثال، يؤدي بالضرورة إلى تغيير حركة العين في المضارع بحركة أخرى أو إبقائها على ما كانت عليه في الماضي.

رابعاً/ علاقه الصّرف بالنّحو:

انتبه العلماء القدامى إلى وعلاقة الصّرف بالنحو، ونوّهوا بذلك حين تناولوا موضوع المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة داخل التّركيب ودلالاتها، وربطوا بين الصّيغة الصرفية والدلالة، ويمكن أن نشير هنا إلى الأصوليين الذين ربطوا بين الصّيغة الصرفية والحكم الشرعي، فكانت لهم آراء في دلالات صيغ الأمر، وغيرها من القضايا التي طرقتها⁽²⁾.

وما يجب التنويه إليه أنّ مباحث علم الصّرف في كتب علماء العربية القدامى لم تكن مستقلة بذاتها، بل كانت تضمّن في مباحث علم النّحو⁽³⁾؛ إذ لا يمكن للنّحو أن يدرس مستقلاً عن الصّرف، كما لا يمكن أن يدرس الصّرف بمنأى عن قواعد النّحو، فتصريف الأفعال مع الضّمائر - على سبيل المثال - يقتضي مراعاة بعض قواعد النّحو، وبناء الفعل للمجهول يؤدي

¹ للتوسع في الفكرة ينظر: تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها: ص 82 وما بعدها.

² - ينظر: أحمد محمود قدور، مبادئ اللسانيات: ص 137-138..

³ - ينظر: محمود أحمد نحلة، لغة القرآن الكريم في جزء عم: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،

لبنان، 1981م. ص 380.

إلى تغيير يلحق شكل الكلمة، وينتج عنه تحويل المفعول به الأصلي إلى ما يُشبهه الفاعل (نائب الفاعل) شكلا في الجملة، وكلّ هذا مؤداه أنّ الصّرف والنحو متداخلان.

خامسا/ علاقة الاشتقاق بالتصريف

كثيرا ما يقع خلط بين الاشتقاق والتصريف عند اللغويين، ومرّد ذلك إلى التداخل الواقع بينهما، وقد ذكر ذلك ابن جني في قوله: "ينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا، واتصالا شديدا؛ لأن التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى"⁽¹⁾؛ فهما يجتمعان في الدلالة على التوليد اللفظي؛ إذ يتم استخراج مجموعة من الألفاظ للتعبير عن المعاني المختلفة في كليهما، ويفترقان في أنّ الزيادة أو أيّ تغيير في الاشتقاق ينتج عنه حتما تغيير في المعنى، وهذا لا ينطبق على التصريف؛ إذ التغيير الذي ينتج عن الإعلال والإبدال، والإدغام، والمماثلة لا يؤدي إلى تغيير في المعنى فالتصريف أعمّ من الاشتقاق.

إنّ الاشتقاق يركّز على المعنى المعجمي، يفرّق بين الدلالة الحقيقية والمجازية، ويبيّن كيفية توليد الألفاظ العربية الأصل، كما يبين الدّخيل مستعينا في ذلك بالتصريف في الأمرين؛ فلا اشتقاق خارج قواعد الصّرف، وما شدّد عن تلك القواعد بما فيها الأوزان فهو دخيل. والتصريف يركّز على الدّلالة الصّرفية كالأفراد، والتنثية، والجمع، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل، واسم المكان، واسم الزمان...

سادسا/ دلالة الصيغ الصّرفية:

وقد اجتهد العلماء في رصد دلالات الصيغ الصّرفية في الأفعال والأسماء منطلقين من مسلّمة: أنّ كلّ تغيير في المبنى يلحقه تغيير في المعنى⁽²⁾، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

¹ أبو الفتح عثمان ابن جني، المنصف في شرح تصنيف المازني: تح/ إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وإدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م، ج1، ص3.

² ما شدّد عن هذه القاعدة يرجع إلى اختلاف اللغات أو الترادف، وقد يرجع إلى غرض لفظي كالإعلال والإبدال..

أ- دلالة صيغ الأفعال: تتغير دلالة الفعل بتغير صيغته بين الماضي والمضارع والأمر، ويضاف إلى ذلك ما ذكره العلماء من دلالات الصيغ الصرفية للأفعال وفقا للتجرد والزيادة؛ من ذلك ما ذكره الحملاوي في "فصل في معاني صيغ الزوائد" أن [أفعل] تأتي لعدة معان(1):

1- التعدية؛ وهي تصيير الفاعل بالهمزة مفعولا، فإذا كان الفعل لازما صار متعديا لواحد، وإذا كان متعديا لواحد صار متعديا لاثنتين، وإذا كان متعديا لاثنتين صار متعديا لثلاثة ... كأقمت زيدا وأقعدته؛ الأصل فيه قام زيد وقعد، ولما دخلت عليه الهمزة صار زيدُ مقاما ومقعدا.

2- صيرورة شيء ذا شيء؛ كألبن الرجل وأتمر وأفلس؛ أي صار ذا لبن وتمر وفلوس.

3- الدخول في شيء، مكانا كان أو زمانا؛ كأشأم، وأعرق، وأمسى؛ أي دخل في الشام، والعراق، والمساء.

4- السلب والإزالة؛ كأقذيت عين فلان، وأعجمت الكتاب؛ أي أزلت القذى عن عينه، وأزلت عجمة الكتاب بنقط.

5- مصادفة الشيء على صفة؛ كأحمدت زيدا، وأكرمته وأبخلته؛ أي صادفته محمودا، أو كريما، أو بخيلا.

6- الاستحقاق؛ كأحصد الزرع، وأزوجت هند؛ أي استحق الزرع الحصاد، واستحقت هند الزواج.

7- التعريض؛ كأرهننت المتاع، وأبعته؛ أي عرضته للرهن والبيع.

8- أن يكون بمعنى استفعل؛ كأعظمته؛ أي استعظمته.

9- أن يكون مطاوعا لـ(فعل) بالتشديد، نحو: فطّرتَه فأفطر، وبشّرتَه فأبشر.

10- التمكين؛ كأحفرته النهر؛ أي مكّنته من حفره.

ب- دلالة صيغ الأسماء: ويركز العلماء عادة على المشتقات: اسم الفاعل، اسم المفعول،

¹ أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر العربي، بيروت. ط1، 1999. ص23.

والصفة المشبهة باسم الفاعل وصيغ المبالغة... وغيرها من المشتقات⁽¹⁾.
إن استعمال الصيغ فعلية كانت أم اسمية يكتسي أهمية بالغة، وعناية شديدة في الكلام.

سابعاً/ أثر التغيرات الصرفية في الفروق الدلالية بين الاسم والفعل:

إن استقراء العلماء للغة قادمهم إلى نتيجة مؤكدة: أن دلالة الاسم تختلف عن دلالة الفعل؛ فالاسم دال على الثبوت من غير تجدد، خلافاً للفعل، وهو ما أكده عبد القاهر الجرجاني في قوله: " لو استويا هذا الاستواء لم يكن أحدهما فعلاً والآخر اسماً بل كان ينبغي أن يكونا جميعاً فعلين أو يكونا اسمين"⁽²⁾. ففي قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ لْتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف/1)، يتوقع السامع بعد الفعل (لتنذر) فعلاً معطوفاً عليه وهو (تذكر)، إلا أن الآية خرقت أفق توقع السامع لمعنى أرادته الشارع عز وجل؛ إذ أن إنذار الرسول صلى الله عليه وسلم مرتبط بزمن - هو الفترة الممتدة من بعثته إلى وفاته - في حين الكتاب باقٍ إلى قيام الساعة⁽³⁾.

وقال ابن جنّي في باب في قوة اللفظ لقوة المعنى في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة/286): " ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير مستصغر. وذلك لقوله عز اسمه ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها ﴾ (الأنعام/161). أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى أجزائها، صغر الواحد إلى العشرة، ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها لم تحتقر إلى الجزء عنها"⁽⁴⁾، وفي هذا تأييد لفكرة: تغاير الصيغ الصرفية يؤدي إلى تغاير المعاني.

¹ يمكن العودة إليها في مضانها: كالتصريح لابن مالك، والمقتضب للمبرد، والأصول لابن السراج، والألفية لابن مالك، وشروحا المختلفة، التطبيق الصرفي لعهده الراجحي...

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1422هـ/ 2001م. ص 120.

³ ينظر: صائل رشدي أصيل، عناصر تحقيق الدلالة في العربية دراسة لسانية، دكتوراه بإشراف الدكتور نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، 2003. ص 199.

⁴ ابن جنّي، الخصائص: مجلد 2، ص 466.

المحاضرة العاشرة

مستويات التحليل اللساني 3

المستوى التركيبي

عناصر المحاضرة:

1- مفهوم التركيب الإسنادي

2- أنواع التركيب الإسنادية

أ. التركيب الأصلي

ب. التركيب الفرعي

- الترتيب

- المنفذ

- التوسيع

3- الأذونات:

- الربط

- الوصل والفصل

- التعليل

4- الآليات التركيبية لاستخراج المعنى

أ. القرائن اللفظية

ب. القرائن المعنوية

1- مفهوم التركيب الإسنادي:

التركيب الإسنادي " قول مؤلف من كلمتين أو أكثر لفائدة"⁽¹⁾، ويسميه النحاة القدامى الجملة، ولم يستعمل سيبويه وغيره من النحاة المتقدمين الجملة مصطلحا وعبروا عنها بالمسند والمسند إليه⁽²⁾ أو بالكلام، وإن اختلفوا في أمرهما؛ فذهب بعض إلى المرادفة بينهما قائلين بأنها أقل قدر من الكلام يحسن السكوت عليه، وفرق آخرون بينهما إذ شرطه الإفادة خلافا لها؛ فنحن نقول جملة الشرط وجملة جواب الشرط وكل منهما لا يحسن السكوت عليه وإنما عن مجموعهما.

2- أنواع التراخيبي الإسنادية

المستوى التركيبي هو المستوى الذي يتم فيه تحليل الجملة إلى أجزائها لتحديد وتحديد طبيعة العلاقات التي تربط بينها، والوقوف على كيفية ترابطها لأداء المعاني، ومعرفة ما يلحق أجزاءها من تقديم وتأخير وحذف وذكر وتوسيع ... مما ينجم عن كل ذلك تأثير في الدلالة، وبذلك يكون للجملة تركيب أصلي و تركيب فرعي.

أ. التركيب الأصلي:

اختلف النحاة واللغويون في تحديد التركيب الأصلي من الفرعي:

- من القدامى، نذكر ابن هشام الذي قسم الجملة (التركيب الإسنادي) إلى صغرى وكبرى، ومثاله: زيد قام أبوه، هي جملة أو تركيب أصلي وهو الجملة الكبرى (الاسمية التي خبرها جملة) عند ابن هشام. وهي تحتوي على تركيب فرعي (قام أبوه) لأنه غير مقصود وإنما جاء به للإخبار عن (زيد)..⁽³⁾.

¹ صالح بلعيد، التراكيبي النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني:

² " سيبويه، الكتاب: 48/1.

³ جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تح/ مازن المبارك ومحمد علي حمد الله،

دار الفكر بدمشق. ط1، 1964. ج1، ص424.

ومن المحدثين نذكر عباس حسن الذي قصرها على ركني الإسناد؛ أي على المبتدأ مع الخبر أو ما يقوم مقام الخبر، أو تقتصر على الفعل مع فاعله أو ما ينوب عن الفاعل..(4).

أما في النظرية التوليدية التحويلية، فما احتوى على ركني الإسناد مفردين وبترتيبهما الأصلي، فإذا ما حدث تقديم أو تأخير أو حذف أو زيادة فهو تركيب فرعي (جملة محولة).

ب- التركيب الفرعي:

قد يعدل عن الترتيب الأصلي للمسند والمسند إليه بتقديم ما حقه التأخير لأغراض بلاغية وفقا لقواعد اللغة، كما يلجا إلى حذف أحد العناصر، أو بتوسيع التركيب بجعل أحد ركنيه جملة أو بإضافة عناصر متممة كالنعت والتوكيد...

- الترتيب: إن أصل التراكيب أن يُذكر المسند إليه ثم المسند في الجملة الاسمية، والمسند ثم المسند إليه في الجملة الفعلية إلا أننا قد نخرج عن هذا الأصل بتقديم عنصر على آخر في إطار الجوازات النحوية، يقول السيوطي في همع الهوامع: "إذا علم ما يجب فيه تأخير الخبر ويمنع علم أن ما عداها يجوز فيه التقديم"⁽⁵⁾. نحو قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَّلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر/5)، تقدّم الخبر على المبتدأ، والأمر منوط بالمقصد من الكلام، فقد يكون التقديم للعناية والاهتمام كما ذكر سيبويه وأكد الجرجاني.

ويلحق التقديم العناصر غير الإسنادية أيضا، وليس مقصورا على المسند والمسند إليه، من ذلك قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار/8)، أين تقدمت المتممات على الفعل والفاعل (رَكَّبَكَ)؛ اهتماما بهيئة التركيب أو صورته.

- الحذف: الأصل في التركيب أن يُذكر عنصرا الإسناد إلا أن الحذف قد يلحق أحدهما أو كليهما مع وجود قرينة بقرينة، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ

⁴ عباس حسن، النحو الوافي: دار المعارف، القاهرة، مصر. ط 3، دت. ص 16.

⁵ جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: تح/ عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم،

مؤسسة الرسالة، ج 1، ص 38.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿الشعراء/23-24﴾؛ أين حُذِفَ المبتدأ للإيجاز، ومسوّغ الحذف دلالة السياق عليه وتقدير (هو) أي هو رب السماوات والأرض. والحذف من شجاعة العربية كما ذكر ابن جني.

- التوسيع: قد تكتفي الجملة بعنصري الإسناد فتكون قصيرة، وقد تطول بأن يكون أحد العنصرين مركبا؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۗ﴾ (البقرة/184)، أين جاء المبتدأ مصدرا مؤولا. وقوله تعالى: ﴿..اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ (الروم/11)، أين جاء الخبر جملة فعلية، وقوله تعالى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ آلْحَقِّ﴾ (الحديد/16)، أين أضافت المتممات، تم توسيع الجملة الأصلية بواسطتين؛ الأولى بجعل الفاعل مصدرا مؤولا (أن تخشع)؛ إذ تقدير: خشوع، والثانية بإضافة الجار والمجرور والعاطف - الواو - والمعطوف الذي جاء مصدرا مؤولا بدور.

ثالثا - الأدوات:

قد ينجح متكلم اللغة إلى استعمال أدوات تربط الكلام بعضه ببعض؛ حتى يرد في صورة متماسكة، وهي كثيرة ومتنوعة:

- الربط:

هو قرينة لغوية تدلّ على اتصال أحد المترابطين بالآخر: يكون معنويا يعتمد على الفهم، ويكون لفظيا يتحقق من خلال مجموعة من الوسائل اللغوية⁶. والربط يكون بين العناصر الإسنادية في الجملة، كما يكون بين العناصر غير الإسنادية. ومن أمثله:

- ربط الخبر الجملة بالمبتدأ بواسطة الضمير: ويكون الربط في هذا النوع من الجمل إذا قُصِدَ جعلها جزءا من جملة أخرى، فتحتاج إلى رابط؛ نحو قولنا: محمد قام أخوه، فالضمير (الهاء) عائد على المبتدأ ولا يصح الكلام من دونه؛ لأن الإخبار عن محمد.

⁶ للاستزادة: هناك مؤلفات أفردت لها من أشهرها: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، ومعاني الحروف للرماني...

- ربط الخبر الجملة بالمبتدأ بواسطة اسم الإشارة: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء/36)، فاسم الإشارة (أولئك) ربط الخبر الجملة (كل أولئك كان عنه مسؤولاً) باسم إن الذي أصله مبتدأ.
- ربط الخبر سواء أكان جملة أم مفرداً بالمبتدأ بواسطة الفاء: وذلك حينما يقع المبتدأ بعد (أمّا) التفصيلية، نحو: أما زيد فمنطلق (الخبر المفرد)، وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ (الكهف/79) الخبر الجملة، ولولا الفاء لما كان الكلام متسقاً مترابطاً.
- ربط الفعل بالمفعول معه، وهو ربط بين عنصر إسنادي وآخر غير إسنادي، ووسيلة الربط في هذه الحالة الواو، وتسمى واو المعية؛ لأنها بمعنى (مع)، نحو: ما صنعت وأباك؟ أي مع أبيك.

- **الوصل والفصل:** ويقصد به ربط الجمل وترك ربطها، وهو مبحث بالغ الأهمية، حتى قيل: "من أدرك الوصل والفصل فقد أدرك البلاغة". وقد استرسل عبد القاهر الجرجاني في شرح المفهوم بقوله: "الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة؛ لشبه العطف فيها - لو عطفت - بعطف الشيء على نفسه، وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه، فيكون حقها العطف. وجملة ليست في شيء من الحالين بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه ولا مشاركا له في معنى... وحق هذا ترك العطف البتة، فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية والانفصال إلى الغاية والعطف لما هو وسط بين الأمرين" (7).

ومثال النوع الأول، الجملة التفسيرية كما في قولنا: فلان غيب مات؛ فجملة (مات) مفسرة لجملة (غيب)، ومن الخطأ أن نعطفها على الجملة الأولى فيكون بمثابة عطف

⁷ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص 161.

للشيء على نفسه، إلا أن يكون لنكتة بلاغية.

وأما مثال النوع الثاني، قولنا: محمد كتب الدرس وفهمه. فجملة (فهمه) وجملة (كتب الدرس) تشتركان في كون كل منهما خبراً للمبتدأ محمد، وتشتركان في الحكم فتحقهما الوصل.

وأما مثال النوع الثالث، فقولنا: العلم نور. أحمد في العراق. الجملتان لا علاقة بينهما من أي وجه فتحقهما الانفصال. ومن وصلهما فلمعنى عقده بينهما.

- **التعليل:** لقد درس النحاة أدوات التعليل عند حديثهم عن حروف المعاني عموماً، كما أشار إليها نحاة آخرون عند حديثهم عن التأثير الإعرابي، فقد أشار إليها سيبويه في طيات كلامه عن الحروف التي تُضمَر فيها (أن)، فتحدّث عن دلالة اللام، وحتّى، وكى على التعليل، وكذلك الأمر عند المبرد في حديثه عن إعراب الفعل ولما ينصب المضارع من الحروف. وأشهر أدوات التعليل:

- لام التعليل، ويكون ما بعدها علة لما قبلها كقوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ...﴾ (الحديد/29).

- إذ: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ (طه/37-38).

- كي: نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِدُ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (النحل/70).

- حتى: كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ (البقرة/217).

- الآليات التركيبية لاستخراج المعنى:

هناك العديد من الآليات التركيبية التي ستعين بها اللساني لتحديد نوع العلاقة الوظيفية الدلالية التي تربط عناصر التركيب بعضها ببعض، وقد قسّمها تمام حسان إلى صنفين، قرائن لفظية وقرائن معنوية وذلك في قوله "ووسيلة الوصول إلى هذا المعنى المعين

هي استخدام القرائن المتاحة في المقال سواء ما كان معنوياً وما كان لفظياً⁽⁸⁾:

أ. القرائن اللفظية:

- العلامات الإعرابية: هي المؤشر الدال على الوظيفة النحوية عندما لا تتم المحافظة على ترتيب عناصر الجملة الطبيعي والنسق المعهود.
- حروف العطف: هي مورفيمات وظيفية يحدد وظيفتها السياق، فاللام تكون للأمر، كما تكون للتعليل، والجحود، والجرّ...
- دلالة الزمن: يُستعمل فعل موضع فعل آخر من حيث الزمن، فيتجاوز الفعل الماضي معناه ليبدل على المستقبل في حالة الشرط والدعاء...
- الصيغة: هي المبنى الصرفي الذي يحدّد نوع العناصر (الأسماء والأفعال والصفات..)، فتكون قرائن لفظية يستعين بها علم النحو لمعرفة العلائق.
- الرتبة: الرتبة نوعان:
 - الرتبة المحفوظة: هناك عناصر يجب أن تحتفظ برتبتها، مثل تقدّم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، والمضاف على المضاف إليه، والأدوات التي لها حقّ الصدارة: أدوات الشرط، والاستفهام، والجزم، والنفي...
 - الرتبة غير المحفوظة: هناك عناصر يجوز لها أن تأتي خلاف الأصل، ولا تحتفظ برتبتها، وتستعين بالقرينة لتحديد وظيفتها، كتقدّم المبتدأ على الخبر، والفاعل على المفعول به، والفاعل على المفعول. ولكن قد تكون الرتبة هي القرينة الوحيدة لكشف علاقة العناصر، كتقديم الفاعل وتأخير المفعول به، إذا خفيت علامة الإعراب.
- المطابقة: قرينة لفظية تجعل الصلة بين عناصر التركيب وثيقة، وتبرز العلاقات التي تربطها، كالعلامات الإعرابية، والعدد، والنوع..

⁸ اللغة العربية، معناها ومبناها: ص 192.

- **الربط** : هو قرينة لفظية تدل على اتصال أحد العناصر بالآخر، وما يترتب عن ذلك من مستلزمات المطابقة بين أجزاء الكلام.
- **التضام**: هو التلازم الذي يكون بين العناصر النحوية، كالصلة والموصول، الجار والمجرور، والعاطف والمعطوف..
- **الأدوات**: وحدات صرفية تؤدي وظائف في التركيب ، وهي صنفان:
 - أدوات وضعت في أصلها لمعان خاصة، كحروف الجر والعطف...
 - أدوات وضعت لمباني أخرى (الأسماء والأفعال) لكنها أشبهت الحرف شبهًا معنويًا، كالظروف: متى، أين، كيف...
- **التنغيم**: تختلف أشكال التنغيم من جملة إلى أخرى حسب السياق، فأداء الجمل الاستفهامية يختلف عن أداء الجمل المنفية والمؤكددة والتمني والعرض والتحضيض والإغراء...

ب. القرائن المعنوية:

- **الإسناد**: وهي العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد.
- **التخصيص**: وهي قرينة معنوية تضم مجموعة من المعاني: كالتعدية، والغائية، والظرفية، والإخراج.
- **التعدية**: تخصيص علاقة الإسناد.
- **الغائية (السببية)**: تخصيص المفعول لأجله.
- **الظرفية**: تخصيص الإسناد بتقييده زمانًا أو مكانًا.
- **الإخراج (الاستثناء)** : إخراج المستثنى من الإسناد.

المحاضرة الحادية عشر

مستويات التحليل اللساني 4

المستوى الدلالي

عناصر المحاضرة:

- 1- الدلالة عند العرب القدامى
- 2- عام الدلالة الحديث
- 3- مستوى التحليل الدلالي
- 4- أنواع الدلالة
- 5- نظريات عام الدلالة
- 6- ظواهر دلالية

1- الدلالة عند العرب القدامى:

كان البحث في موضوع الدلالة عند العرب قديماً، فلقد قدّمت بحوث اللغويين والفلاسفة والأصوليين والفقهاء والنقاد والأدباء أدلة قاطعة عن أصالة (علم الدلالة العربي)، فالعرب درسوا معالم هذا العلم كما درسه غيرهم من العلماء في اللغات المعاصرة: كالفرنسية والألمانية والإنجليزية.

ف"التهانوي" يعرف الدلالة بقوله: "الدلالة بالفتح على ما أُصطلح عليه أهل الميزان والأصول العربية والمناظرة أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر... والشيء الأول يسمى (دالا) والشيء الآخر يسمى (مدلولا)"⁽¹⁾، ويقدم الشريف الجرجاني "تعريفاً للدلالة لا يكاد يختلف عن تعريف (التهانوي) إلا في ربطه الدلالة بالاصطلاح الأصولي وبالنص، يقول في ذلك: "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو (الدال) والثاني هو (المدلول) وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص"⁽²⁾.

وكان الجاحظ من السابقين إلى علم الدلالة بمنهجيته الرائعة حيث يقول "والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم.

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً من كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"⁽³⁾.

ويتجاوز مفهوم الدلالة عند الجاحظ معنى "الدال" اللغوي المنطوق ليشمل ما دون المنطوق يقول في ذلك: "فالدلالة التي في الموات الجامد. كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان"⁽⁴⁾.

¹ محمد عليّ التهانوي، موسوعة كَشَف اصطلاحات الفنون والعلوم: تحقيق عليّ دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان. ط1، 1996. جزء 01، ص 787.

² الجرجاني السيد الشريف، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1357هـ، 1938هـ، ص 215.

³ الجاحظ، البيان والتبيين، ج 01، ص 75-76.

⁴ المرجع نفسه، ص 76.

ويقول: "ومتى دلّ الشيء على معنى فقد أخبره عنه، وإن كان صامتا وأشار إليه، وإن كان ساكنا، وهذا القول شائع في جميع اللغات، ومتفق عليه مع إفراط الاختلاف"⁽¹⁾. وهذا "ابن جندي" قد أدرك أن الناس على اختلاف نحلهم وملهم وتتنوع لغاتهم يتواضعون على مصطلحات تخالف تلك التي تواضع عليها من سبقهم من الناس، ولذلك فهو يقول: "وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناعات والآلات صنائعهم من الأسماء كالنجار والصائغ والحائك والبناء وكذا الملاح... ومن هذا الذي في الأصوات ما يتعاطاه الناس الآن في مختلف الأشكال في حروف العجم، كالصورة التي توضع للمعميات والتراجم، وعلى ذلك أيضا اختلفت أقلام ذوي اللغات، كما اختلفت أنفس الأصوات المترتبة على مذاهبهم في المواضع"⁽²⁾.

وهذا دليل: "أن الدلالة لا تحصى وأن هذا العالم مشحون بالأدلة إلا أن منها ما هو مقيد منتظم ومحصور، ومنها ما هو مطلق غير مقيد ولا منتظم ولا محصور"⁽³⁾. كان ذلك المفهوم الأساس والأصلي الذي انبنى عليه علم الدلالة عند العرب والذي عرفه بعضهم بأنه العلم الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يصبح قادرا على حمل المعنى، وتدور موضوعاته حول العلامات والرموز⁽⁴⁾، غير أن علم الدلالة لم يكن علما مستقلا بذاته بل ظل طوال مسيرة النشاط الفكري واللغوي عند العرب موزعا بين العلوم الإسلامية العربية والنحوية والأصولية والفلسفية، بحيث نجد مفاهيمه وأهدافه وأقسامه متناثرة ومبعثرة هنا وهناك في تضاعيف كتب التراث، ويذكر "أن أحسن من درسوا الدلالة أصحاب المعاجم التي ألفت في فن المصطلحات العلمية"⁽⁵⁾، وينبغي هنا عدم الخلط بين "علم الدلالة" أو "علم المعنى" وبين علم المعاني الذي هو عنوان قسم من الدراسات البلاغية الجمالية، التي تعنى بقيم التركيب اللغوي وتقيد من نظرية السياق على النحو الذي اكتملت فيه لدى "عبد القاهر الجرجاني" في "دلائل الإعجاز"، ويقدم علم المعاني نتائج تقيد الباحث الدلالي⁽⁶⁾.

¹ المرجع نفسه، ص 77

² ابن جندي، الخصائص، دار الكتب المصرية، 1371هـ-1952م، ج1، ص45.

³ إسماعيل علوي، وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومة، الجزائر، 2000م، ص 63.

⁴ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط2، 1988م، ص 11.

⁵ إسماعيل علوي، وقائع لغوية وأنظار نحوية: ص 64.

⁶ فايز الدالية، علم الدلالة العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 9.

ولا شك في أن مسألة الدلالة تعد بحق من الإشكاليات اللغوية الممتدة جذورها في أعماق التاريخ، فهي قديمة في التراث الفكري الإنساني، فقد استمد الداليون - على مراحل مختلفة من الزمن - ما كان لدى البلاغيين منذ "أرسطو" وفسروا تغيرات المعنى لغويا في المجاز والاستعارة، وتابعوا تحليل التصورات فلسفيا وربطوها بالحقيقة وبالأشياء، كما حاولوا إيجاد التفسيرات الصحيحة لعلاقات الرموز بمدلولاتها⁽¹⁾.

إلا أنهم اعتمدوا المنهج المعياري وأصوله الذاتية ولا يحدون على أسسه فيما يعالجون من قضايا اللغة العربية الفصحى في مستوياتها الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية وظلت المعيارية السمة البارزة حتى عند الباحثين والدارسين العرب المعاصرين على الرغم من أن بعضهم قد حاول تجاوز قيودها والتحرر من ذلك الأنموذج والمقياس المادي والمعنوي لما ينبغي أن يكون عليه الشيء، والتطلع إلى أفاق نظرية وتطبيقية تعتمد على الدرس الوصفي، مما يجعل اللغة العربية تختلف في ضوابطها عن ذلك الموروث، التقليدي، الاستعمالي متأثرين في ذلك بالدرس الدلالي الغربي الحديث والمعاصر.

2- علم الدلالة الحديث:

أما "علم الدلالة" بمفهومه الحديث فهو فرع من فروع اللسانيات يعدّ من أحدث الدراسات اللغوية ظهورا على وجه العموم، وقد أسهم في تطوره وانتشاره منهجان أساسيان: منهج تاريخي يتتبع المعاني يصفها ويرصد ما يطرأ عليها من تغير عبر الزمان، ومنهج وصفي يدرس المعاني في مرحلة زمنية معينة من مراحل التاريخ اللغوي.

وقد بدأت الإرهاصات الأولى لدراسة الدلالة في الغرب مع العالم "ريسغ" (C.reisig) في محاضراته التي كان يلقبها في "هال" (halle) حول "الفيلولوجيا" (philologie) حوالي عام 1825م.

أما مصطلح "علم الدلالة" فقد تبلور في صورته الفرنسية (sémantique) لدى اللغوي الفرنسي "ميشال بريال" (m.breal) في أواخر القرن التاسع عشر أي سنة 1883م، ليعبر عن فرع من فروع علم اللغة العام وهو "علم الدلالات" ليقابل "علم الأصوات" (phonétique) الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية⁽²⁾.

¹ فايز الداية، علم الدلالة العربي، (مرجع سابق)، ص 8.

² المرجع نفسه، ص 7.

ومصطلح "Semantique" مشتق من أصل يوناني مؤنثه "semantiké"، مذكوره "semantikos" أي يعني ويدل، ومصدره "sêma" أي: إشارة، وقد تناول "ميشال بريال" بالدراسة المفصلة مسائل المعنى وإشكاليات الدلالة في كتابه الموسوم بـ: "محاولات في علم الدلالة" (essais de semantique) وكان ذلك سنة 1897م⁽¹⁾.

ورد في معجم "ويبستر" (Webster): "علم الدلالة هو علم المعنى الذي يختلف تماما مع علم الأصوات، وهو الدراسة التاريخية والسيكولوجية للتغيير الدلالي في معاني الكلمات وتصنيفها".

كما جاء في معجم "وينستن" (Winston): "علم الدلالة هو علم معاني الكلمات والنمو التاريخي لفهم وإدراك معاني الكلمات، من حيث أنه يختلف تماما مع علم الأصوات والسمعيات"⁽²⁾.

3- مستوى التحليل الدلالي:

وعلم الدلالة مستوى من مستويات الوصف اللغوي يتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو بالمعنى فيبحث مثلا في تطور معنى كلمة، أو يقارب بين الحقول الدلالية المختلفة، ويمكن التمييز بين "علم الدلالة" (Sémantique) وبين "علم الإشارات" (Sémiologie) فالأول يعالج المعاني أما الثاني فيختص بدراسة "الإشارات" (Signes) والمبادئ العامة التي تسير تنظيمات "الرموز" (codes) والتي بموجبها يتم تصنيف هذه التنظيمات⁽³⁾.

فهو إذن: العلم الذي يعنى بدراسة معاني الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية، والغاية منه الوصول إلى قوانين المعنى التي تكشف أسراره وتبين السبل إليه، لترقى الدلالة فتؤدي وظائفها الحضارية في الحياة، غير أن الوصول إلى هذه القوانين يظل أمرا نسبيا لما يعترض سبيله من عقبات؛ لأن الدلالة صورة مفهومية مجردة على عكس "الفونولوجيا" (phonologie) أو علم "التراكيب" (Syntaxe) ولما كانت الدلالة المتأنية من الظواهر الأسلوبية أو التنغيمية غامضة أو غير مطردة فإنها غير قادرة على أن تشكل منطلقا للدراسة الدلالية التي تبحث عن منهج صارم، ومن ثم فإن هذا النوع من الدلالات هو من مشمولات علوم أخرى "كالأسلوبية" (Stylistique) أو "الشعرية" (Poétique)، فإنه من الصعب تصور

¹ Larousse: Paris, 1968.

² نوال عطية، علم النفس اللغوي: الأنجلو المصرية، 1975، ص، 68-69.

³ ميشال زكرياء، الألسنة (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام: ص 211.

الكيفية التي يمكن أن تمثل أساسا إجرائيا للوصف الدلالي؛ لأن جمل اللغة غير متناهية العدد بالإضافة إلى أن بنيتها غير مستقرة.

ويرى "بلوم فيلد" (Bloomfield) أن ما يزيد من صعوبة الدراسة الدلالية عاملان لهما ارتباط ببعدها الاجتماعي:

- عامل تعدد القيم الحافلة بدلالات الألفاظ المركزية (Connotation) الاجتماعية والمهنية والاقتصادية والسياسية...

- عامل أن دلالة الألفاظ ليست ظواهر قارة سكونية، فهي متطورة ومتغيرة حسب التجارب المتجددة، فالكلمة الواحدة تستعمل في أكثر من تجربة لغوية وفي أكثر من معنى⁽¹⁾.

وهذا ما جعل الدراسة الدلالية تعيش ردحا من الزمن فراغا كبيرا، ولم تشهد أي تقدم يستحق الذكر مقارنة بدراسة اللغات من حيث مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية بسبب ما يحف المعنى من مزالق ومخاطر تحول دون تطبيق المنهج العلمي الصارم في دراسته الظواهر الدلالية دراسة تطبيقية تتسم بالموضوعية والصدق والثبات.

لكن هذه الدراسة ما لبثت أن عرفت انطلاقة صحيحة في الستينات من القرن العشرين بعد رواج القواعد التحويلية التوليدية، وعلم النفس اللغوي، وفرضية "سابير" و"وورف" (hypothesis sapir-whorf) ونظرية الاتصال، ونظرية "تحليل المكونات" (Componential analysis)⁽²⁾.

يستعين علم الدلالة باللسانيات التي تصوغ القواعد المطردة المجردة التي تمكن من التعامل مع اللغات الطبيعية بشكل تجريبي، والتي تعتمد على مبدأ "التقييس" (Simulation) في تحليل مختلف أنواع الأنظمة الإشارية وضمنها اللغة التي تشكل النظام الأكثر تعقيدا، كما يستعين بالبحوث والدراسات الموازية لللسانيات (paralinguistique)، ورغم أنها ليست ببحثا لسانية بالمعنى الدقيق إلا أنها ذات أهمية من حيث كونها ميدانا واسعا وخصبا يقدم لدارس الأدب والنصوص بشكل عام أداة تمكنهم من استجلاء المعنى من حيث تعجز الأساليب التقليدية العتيقة عن تقديمه.

¹ سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة: ترجمة يحياتين، دار المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 06.

² أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ص 239.

4- أنواع الدلالة:

نذكر هنا بعض النماذج اللغوية ذات الصلة بالبحث اللساني في مستوياته: الصوتية والصرفية والنحوية لنستشف العلاقة الوطيدة بين "اللسانيات" وعلم "الدلالة".

في المستوى الصوتي: إن لوظيفة الصوت في الاستعمال اللغوي دلالات محددة فالجانب الصوتي قد يؤثر في المعنى كوضع صوت مكان صوت آخر، وكالنبر والتنغيم والتفحيم والترقيق والوصل والوقف... ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس/52). فالوقف عن كلمة "مرقدنا" هو الذي يوضح لنا المعنى ويكشف النقاب عن الدلالة المتوخاة من الآية الكريمة، وفي قوله عز وجل: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (يس/76) الوقف على (قولهم) يبين لنا المقصود، فالمقام هنا مقام تسرية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن الله يعلم سر الكفار وعلايتهم، أما الوصل فقد يوهم أن الكلام كله بلسان الكفار.

ويرى "بلوم فيلد" (bloomField) أن الدراسة اللسانية لا تنحصر في دراسة الأصوات والدلالات اللغوية بذاتها بل تشمل دراسة الارتباط الشامل والقائم بين أصوات معينة ودلالات معينة فالاهتمام بالفونيمات عائد إلى أنها تتيح تمييز الدلالات؛ لذلك عدت السمات الفونولوجية التي ينتج عنها اختلاف في الدلالات بمقابلة السمات الدلالية للدراسة اللسانية⁽¹⁾:

فالفونيمان (ن، ر) في قولنا (النقش) و (الرشق) أديا وظيفة تمييزية في اللفظين شكلا ومضمونا (فالنقش) يكون في الحائط والرشق يكون في القرطاس، وكذا الفونيمان (ش،س) في قولنا (الوشم) و (الوسم) فالأول يكون في اليد والثاني في الجلد.

ويرى "أوتوجسبرسن" الذي ركز في أبحاثه ومؤلفاته على مبدأي العلاقة الوثيقة بين الصوت والوظيفة، والتطور اللغوي، يقول: "إن كل لغة تحتوي على شكل خارجي (فونيتيكي) و(تركيبية) وعلى شكل ذاتي (دلالي)، ولا بد للدراسة الألسنية من أن تقرن هذين الشكلين، فهو يؤكد عدم وجود (أنواع) طبيعية في المجال اللغوي مماثلة لتلك التي تميز العناصر في المجال النباتي والحيواني، فالعربي مثلا: يعتبر (غ) فونيميا مميّزا، في حين يعتبر الفرنسي هذا الفونيم فونيميا متغيرا للفونيم المميز (ر) وترتبط هذه العبارات بصورة أساسية بمدى استعمال هذه الفونيمات للتمييز بين الدلالات المختلفة"⁽²⁾.

¹ ميشار زكرياء، الألسنة (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، (مرجع سابق)، ص 232.

² المرجع نفسه، ص، 278.

في **المستوى الصرفي**: إن الصيغ الصرفية المجردة والمزيد فيها لها دلالاتها الخاصة بها بما تحدثه من أثر في نفوس المتلقين للرسالة اللغوية فينتج عنه ما يسمى بالمفاهيم أو التصورات الذهنية فالصيغ الصرفية على هيئة ما و وزن ما، تحمل في طياتها معنى معيناً يختلف عن معنى صيغة صرفية أخرى وردت على هيئة ووزنين مخالفتين: كاسم الفاعل واسم المفعول والفعل على أنواعه والمصدر والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم المكان واسم الزمان... إلخ.

وأوجه الاختلاف الدلالي واضحة في دراسة البنى الإفرادية الصرفية، فالبحث في الصيغة الصرفية للكلمة من حيث عدد حروفها وترتيبها وضبطها بالشكل ووزنها يؤدي بالضرورة إلى بيان معناها ويفضي إلى إجلاء دلالتها، فلفظة (كذاب) التي وردت على وزن (فَعَال) هي صيغة مبالغة تفيد الكثير من فعل المفعول، لذلك فهي تزيد في دلالاتها على صيغة (كاذب) التي جاءت على وزن (فاعل) وكذلك الحال بالنسبة إلى الفعل (غلق) الذي يزيد في معناه عن الفعل (غلق).

في **المستوى التركيبي**: هناك ارتباط وثيق بين المستوى الدلالي والوظيفة النحوية لكل كلمة داخل السياق، فالنحو فرع عن المعنى، ولولاه لما عرفنا المراد من قول الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر/28) وقوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ (البقرة/124) وقوله ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة/03).

"والمعنى الوظيفي بصوره الثلاث (الصوتية، والصرفية، والنحوية) هو معنى الجزء التحليلي الذي يخضع للضبط والتقييد، فالأصوات تخضع لتقييد سلوكها إدغاماً وإخفاءً وإقلاباً... إلخ والعناصر الصرفية تخضع لقواعد الصرف كما تخضع العناصر النحوية لقواعد النحو" (1)، ولكن الظواهر اللسانية ليست ظواهر صوتية أو صرفية أو نحوية منفصل بعضها عن بعض، والنظرية اللسانية العامة لا يمكنها أن تعتمد على المستويات المذكورة فحسب، خاصة إذا أدركنا المفهوم الصحيح للبنية اللغوية (structure) ذلك أن الظواهر اللغوية متداخلة ومشتبك بعضها ببعض وترتبط بالدلالة أشد الارتباط مما يعني أن الدلالة هي أصعب مجال في اللسانيات مقارنة بالتركيب (Syntax) وبالصوتيات (phonetique)؛ غير أن هذا لا يمنع اللسانيين من محاولة إخضاع بعض المسائل الدلالية إلى الدراسة العلمية، فبالرغم من حداثة علم الدلالة فقد ظهرت إلى حيز الوجود ثلاثة مناهج رئيسية

¹ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984م، ص 14.

وأساسية تهتم بدراسة فحوى الكلمات والجمل دراسة علمية وهي: المنهج التحليلي⁽¹⁾، والمنهج العملي السياقي⁽²⁾ والمنهج العقلاني⁽³⁾، كما تعددت المدارس التي عالجت المعنى وتعددت نظرياتها.

5- نظريات علم الدلالة:

أولاً- نظرية المقام:

تقوم على ما عرف قديماً عند علماء البلاغة "لكل مقام مقال" فالعلاقة بين القول والمقام وثيقة، لأن القول المجتث من مقامه غالباً ما يستعصى عن التأويل، ذلك أن حال الخطاب وظروفه وما يحيط به من ملابسات هي مراجع أساسية يعتمدها المخاطب في اختيار إمكانياته الكامنة لتحديد عناصر خطابه، فالرجوع إلى المقام يساعد كثيراً على معرفة مرجعية الصيغ اللغوية للقول كالضمائر والأسماء المبهمة، وأسماء الإشارة وغيرها من الصيغ المحددة لسمات الخطاب اللساني ويساعد على اختيار تأويل بعينة لبنية لغوية سطحية كانت أم عميقة، فقولنا مثلاً: "فلان طويل اليد" يحتمل أن يكون سمحا كريماً أو لصاً سارقاً، كما يساعد على اكتشاف قيمة القول، كالأمر أو التهديد أو الشك أو التوكيد أو المدح أو الذم...⁽⁴⁾.

ويرى "جون فيرث" (1890-1960) وهو من المهتمين بالمكون السوسولوجي في الدراسة اللسانية أن الدلالة تكون الموضوع الأساسي للدراسة اللسانية، ويأتي تأكيد فيرث هذا في وقت كان الاتجاه السائد متصفاً بالتركيز على دراسة شكل العناصر من دون النظر إلى

¹ ظهر هذا المنهج (المنهج التحليلي للمعنى) بأوروبا الغربية ويعرف "بالمثلث القاعدي" (basic triagle)، وجاء به كل من "أوغدن" و "ريتشارد" في كتابهما، "معنى المعنى"، فالمعنى ينقسم إلى ثلاثة مكونات "الرمز" (Symbol) و "الفكر" (Thought) و "المرجع" (Referance) أو "الاسم" (Nam) و "المعنى" (Sense) و "الشيء" (Thing).

² المنهج العلمي أو السياقي (Opertional or Contextual méthode) تطورت المقاربة العملية للمعنى على يد "بريدجمن" (Bridgman) في الولايات المتحدة الأمريكية ونالت صداها في أوروبا الغربية على يد "ويتغنشتاين" (wittgenstein) وممن ذهبوا هذا المذهب في دراسة المعنى اللساني البريطاني "فيرث".

³ يمثل النظرة العقلانية خير تمثيل اللساني الأمريكي "نعوم تشو مسكي" الذي اعتمد "الاستبطان" (introspection) منهجا في ظل القواعد التوليدية التحويلية، ويسعى هذا المنهج إلى تقنين "الحدس" حتى يتمكن الدارسون من الحكم الصحيح على التراكيب النحوية والدلالية، وهذا ما نجده عند أصحاب "قواعد الحالات" (case Grammar) مثل: "فيلمور" (Fillmore) و "نيلسون" (Nilsen) وغيرها.

⁴ سالم شكور، مدخل إلى علم الدلالة، (مرجع سابق)، ص 29.

دلالاتها، ويصر "فيرث" على اعتبار الدلالة الموضوع الأهم في الدراسة اللسانية، وتتكون الدلالة برأيه من مجموع العلاقات أو الوظائف العائدة للعنصر اللغوي، والمرتبطة بمضمون محيطه، فكل عنصر من العناصر اللغوية يحتوي على مجموعة العلاقات الملائمة لمحيطه(1).

ثانياً - نظرية السياق (theory of meaning):

مفادها أن الكلمات في المعجم ذات أبعاد دلالية متعددة تجعلها صالحة للدخول في أكثر من سياق، فالسياق هو الذي يفرض على الكلمة قيمة واحدة بعينها(2)، فمن الصعب بمكان تحديد دلالة الكلمة، ذلك أن الدلالة لا تقتصر على مدلول الكلمة فقط وإنما تحتوي على المعاني كلها التي يمكن أن تتخذها ضمن السياق اللغوي، إذ أن المفردات لا تحمل في ذاتها دلالات مطلقة، إنما تتحقق دلالاتها انطلاقاً من السياق التي تظهر فيه(3)، فالسياق هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليه، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول:

- الخياط يقص الثوب

- الخبر الذي يقصه الغلام صحيح

- البدوي خير من يقص(4).

وتمثل الظروف والملابسات والمواقف التي تنتج فيها السياقات عاملاً مهماً في دراسة الدلالة وهو ما أطلق عليه الدكتور "بشر": "المسرح اللغوي"، ويسميه "فيرث" سياق الحال ويعرفه بأنه "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، وفي هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم - إن وجدوا - وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل وكالوضع السياسي وكمكان الكلام"(5).

ثالثاً - نظرية الحقول الدلالية (Sémantique Field Théory):

¹ ميشال زكريا، الألسنة (علم اللغة الحديث) المبادئ والإعلام، (مرجع سابق)، ص 201، 283م.

² رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب القاهرة، 2001م، ص 20.

³ ميشال زكريا، الألسنة (علم اللغة الحديث) المبادئ والإعلام، (مرجع سابق)، ص 211.

⁴ فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخي ومحمد القصاص، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1950، ص

⁵ محمد السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ص 462.

يرى أصحاب هذه النظرية أم معنى الكلمة لا يتخذ إلا من خلال علاقتها بالكلمات المشتركة معها في المجال الدلالي نفسه، ويعتمدون على فكرة أن "المعاني لا توجد في الذهن منعزلة، بل بينها ترابط ملحوظ، وأن الذهن يميل دائماً إلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تتشبه دائماً بعائلة لغوية"⁽¹⁾.

وقد قام أصحاب هذه النظرية بتقسيم ألفاظ اللغة حسب المعاني إلى حقول ومجالات دلالية كألفاظ القرابة واللون وغيرهما، وقد ظهرت فكرة المجال الدلالي عند اللغويين العرب القدامى في رسائلهم ومعاجمهم التي جمعت فيها المادة الدلالية تحت معنى عام، كما اهتم أصحاب هذه النظرية بالعلاقات الدلالية داخل المجال الدلالي، كالترادف والتباين والتضاد والتعميم والتخصيص...

رابعاً- نظرية التحليل التكويني (Compositional analysis theory):

ويرتكز دور هذه النظرية في تحديد الملامح الدلالية لمعنى كلمة من كلمات المجال الدلالي الواحد، وذلك من خلال استقراء السياقات التي ترد فيها الكلمة، فكما أن هناك ملامح دلالية تجمع طائفة من الكلمات في مجال دلالي واحد يمكن أن يطلق عليها "ملاح عامة"، فهناك ملاح دلالية تميز كل كلمة داخل المجال الدلالي الخاص بها، ويمكن أن يطلق عليها "ملاح خاصة" وهذه الملاح الخاصة هي التي تميز بين معاني كلمات المجال الواحد، وتظهر الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات المترادفة⁽²⁾.

وبالرغم من النقد الموجه إلى هذه النظرية فقد وصفت بأنها أحسن تجربة لتحليل المعنى إلى مكونات صغرى، وذكر "أولمان" (Ullmann)، أنها لعبت دوراً هاماً في تطوير "السيمانتيك التركيبي" وأنها أول نظرية تفصيلية واضحة تستخدم في أمريكا لفترة طويلة، وألقت أضواء من الاهتمام على المكونات الدلالية في علم النحو التوليدي التحويلي⁽³⁾.

وقد عد (J.Lyons) نظرية التحليل التكويني مكملية لنظرية المجال الدلالي وامتداداً لها⁽⁴⁾، كما أن هناك علاقة بين نظرية "التحليل التكويني"، و "النظرية الساقية" حيث إن السياق خطوة تمهيدية لنظرية التحليل التكويني، ويرى "أولمان" أنه بعد أن يجمع المعجمي عدداً من

¹ فندريس، اللغة، (مرجع سابق)، ص 333.

² محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001، ص 204.

³ أحمد مختار عمر، علم الدلالة: ص 11.

⁴ Lyons john, Semantics University, press, 1977, v1, p 327.

السياقات الممثلة التي ترد فيها كلمة معينة، وحينما يتوقف أي جمع آخر للسياقات عن إعطاء أي معلومات جديدة، يأتي الجانب العملي على نهايته، ويصبح المجال مفتوحاً أمام المنهج التحليلي⁽¹⁾.

"إن السمت العلمية الأظهر في علم الدلالة أنه يبحث عن حقيقة المعنى، وكيفية الوصول إليه باستدلالات من التصور الإنساني للمعنى، وهذا يعني أن علم الدلالة:
أ - تحليلي يبحث عن ماهية "ما هو؟" "ما هي؟".
ب - تحليلي يبحث عن العلة والسبب والكيفية.
ج - تدليلي يربط الظاهرة بدليلها"⁽²⁾.

6- ظواهر دلالية:

تتبع علماء العربية الظواهر اللغوية التي تعنى بالعلاقة بين الكلمات في اللغة الواحدة كالنضاد والترادف والمشارك اللفظي...

- **الترادف:** إن مسألة الترادف كانت محل نقاش بين علماء اللغة في القرون الأولى من البحث اللغوي بعدها الآلة التي تثري النصوص وعلى رأسها النص القرآني⁽³⁾؛ وهو في حقيقته " دلالة عدة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد دلالة واحدة⁽⁴⁾، أو كما قال التهانوي "الترادف لغة ركوب أحد خلف آخر وعند أهل العربية والأصول والميزان هو توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد، بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحده وتلك الألفاظ تسمى مترادفة"⁽⁵⁾.

¹ Fodor: Janet Deam, semantic theory of meaning in generative grammar, 2ed, New York, Harvard, university press, 1982, p 65.

² سمير شريف إستيتية، اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 1492هـ-2008م، ص257.

³ - صلاح الدين زرال: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية، للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008، ص275.

⁴ الشريف الجرجاني، التعريفات: ص 210.

⁵ التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ج1، ص 406.

واشترط المحدثون عدّة شروط في الترادف، منها: الاتحاد في البيئة اللغوية الواحدة، إضافة إلى الاتفاق التامّ في المعنى بحيث يمكن استعاضة المفردة بالمفردة المترادفة من دون إخلال بالنص.

- **الاشتراك اللفظي:** عرف العرب الاشتراك اللفظي، وتعاملوا معه كظاهرة في معجمهم، وهو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"⁽¹⁾، وذهب المناطقة وبعض الأصوليين كالغزالي إلى أنّ المشترك اللفظي هو "الذي وُضع بالوضع الأول مشتركاً للمعنيين، لا على أنّه استحق أحد المسميين ثمّ نقل إلى غيره"⁽²⁾، والأمر لا يعدو أن يكون هناك أصل لهذا المشترك، ثمّ استعير هذا الأصل إلى معانٍ أخرى. فالمشترك يتكون من لفظ أصلية في الوضع والباقي جيء به ليحمل دلالات بلاغية ومجازية.

- **التضاد:** هو أن يُستعمل اللفظ الواحد في معنيين متقابلين، وذكر صاحب المخصص أنّ: "اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً من لغات مختلفة"⁽³⁾، والتضاد قليل في العملية التخاطبية، وشيوعه يعود إلى المعيار الاجتماعي، والتضاد متعلّق بالسياق، فلا اعتبار له خارجه ولا وجود له في المعجم، يقول ابن الأنباري: "كلام العرب يصحّ بعضه بعضاً، ويرتبط أوّلُه بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلاّ باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنّها يتقدّمها ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصيّة أحد المعنيين دون الآخر، ولا يُراد بها في حال التكلّم والإخبار إلاّ معنى واحد"⁽⁴⁾.

¹ جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها: تح/ فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

ط 01، 1418هـ/1998م. ج 1، ص 292.

² بو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، معيار العلم في فن المنطق: تح/ سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961م. ص 86.

³ ابن سيده، المخصص: ج 13، ص 259.

⁴ أبو بكر الأنباري، الأضداد: تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. 1987م. ص 2.

المحاضرة الثانية عشر

- مستويات التحليل اللساني 5

المستوى النصي (الانسجام والاتساق)

عناصر المحاضرة:

- مفهوم النص

أولاً: الاتساق النصي

1- مفهوم الاتساق والانسجام

2- وسائل الاتساق النصي

ثانياً: الانسجام النصي

1- مفهوم الانسجام

2- عناصر الانسجام

1- مفهوم النص:

ورد مصطلح النص عند العرب القدامى بمعنى "نص القرآن" و "نص الحديث"، ولكن وُجد عند الأصوليين ما يتفق والمفهوم الحديث للنص، مثل ما ورد في رسالة الشافعي في حديثه عن البيان: "النص ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه. فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره"⁽¹⁾، فاستعملوا اصطلاح النص إشارة إلى اللفظ المستدل به على حكم من القرآن أو السنة.

أما في العصر الحديث، فحاول الكثير من علماء العربية تعريف النص، نذكر منها:

■ تعريف سعيد بحيري في قوله: "النص إذن وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكوّن المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، ويتكوّن المستوى الثاني من تصوّرات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية"⁽²⁾.

■ وتعريف طه عبد الرحمان في قوله: "أنه بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات"⁽³⁾.

■ وتعريف عبد المالك مرتاض بقوله: "فالنص الأدبي يبدو لأول وهلة عالمًا صغيرًا بسيطًا غير معقد ولا متشعب الطرق، ولكن بالتسليح الألسني المعمق يمكن أن يستكشف من خلاله عوالم ضخمة قد لا يكون لها حدود ولا تتصد لها أفاق"⁽⁴⁾.

فالنص يمكن أن يكون جملة، ويمكن أن يكون مؤلفًا قصيرا أو طويلا بحسب ما يقتضيه الحال والمقام، فهو مدونة كلامية في صيغتها المكتوبة.

¹ محمد بن إدريس الشافعي: الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر. د ط، د ت. ص 32.

² سعيد بحري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط1، 1997. ص 119.

³ طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2000. ص 35.

⁴ عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983. ص 82.

وقد تعددت تعريفات علماء الغرب بتعدد المذاهب والاتجاهات؛ فالكاتب الروسي "لوتمان/Loutman" يرى أن النص يعتمد على ثلاثة مكونات "التعبير، حيث يتم من خلال علامات اللغة الطبيعية، والمعيار الآخر هو التحديد، ويدخل فيها كل من الكلمة والجملة، أما المعيار الثالث فهي الخاصية البنوية"⁽¹⁾.

وترى "جوليا كريستيفا" أن النص عبارة عن "خطاب يخترق حالياً وجه العلم والإيديولوجيا والسياسة... ومن حيث هو خطاب متعدد اللسان أحياناً ومتعدد الأصوات غالباً من خلال تعدد أنماط الملفوظات التي تقوم بمفصلته"⁽²⁾.

وقد حاول "فان دايك/ F.A.vandik" صياغة نموذج شامل وكامل لتحليل النص بإدخال عناصر من النحو والبلاغة وعلم النفس التجريبي ليصل بعد ذلك إلى أن النص "لا يملك فقط بنى قاعدية على مستويات مختلفة (أصوات، كلمات، بناء الجملة، المعنى)، ولكنه يملك أيضاً بنى أخرى مثل البنى العليا، والبنى الأسلوبية والبلاغية التي هي في عدد من مستويات النص"⁽³⁾.

فعلم النص يتعامل مع كل مستويات اللغة ودرجات الربط والترابط الدلالي (التماسك)، كما أن له دوراً مهماً في عملية فهم النصوص وإنتاجها.

أولاً: الاتساق النصي

1- مفهوم الاتساق: هو وحدة لغوية مهيكلية تجمعها بعناصرها روابط وعلاقات تجعل النص مترابطاً ومنسجماً، فهو علاقة معنوية بين الجمل، كعلاقة العموم بالخصوص.

والاتساق (أو التماسك أو التلاحم) يعني الترابط الشديد بين الجمل في النص بوسائل لغوية معينة، "فمعيار الاتساق إذا مرتبط بالعلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر

¹ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص: سلسلة أدبيات، مكتبة لبنان، القاهرة، ط1، 1996، ص26.

² جوليا كريستيفا، علم النص: تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1991، ص13-14.

³ فان دايك، النص بنى ووظائف، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص188-189.

الشكلية للنص التي تؤدي إلى التواصل والتتابع الرصفي والترابط بين أجزاء النص من خلال تعاقبها أو تواليها الزمني⁽¹⁾.

2- وسائل الاتساق النصي:

يرى الباحثان رقية حسن وهاليداي أنّ الاتساق لا يتحقق إلا بوجود خمسة عناصر في النص، وهي:

أ- الإحالة (Reference): هي العلاقة القائمة بين "الأسماء والمسميات"⁽²⁾، وفق علاقة دلالية تطابقه بين خصائص المحيل والمحال إليه.

ويطلق كلاوس برينكر مصطلح الإحالة على بدائل الصيغ التي تتكرر في النص (وحدات لغوية)، فالإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من معان تدلّ عليها عبارات أخرى في السياق أو المقام، مثل: الضمير وأسماء الإشارة، والاسم الموصول، حيث تشير إلى الألفاظ والأسماء السابقة أو اللاحقة؛ وهي وسائل هامة لربط أجزاء النص والحفاظ على تماسكه.

وقد أشار إليها تمام حسان في مقدمته لكتاب النص والخطاب والإجراء ل: دي بوجراند حيث يقول: "الإحالة من وسائل السبك، وهي تؤدي إلى التحام النص من الناحية المفهومية، ومن الأمور المألوفة إعادة اللفظ في العبارات والجمل والتراكيب التي تتخذ دلالاتها في المرتجل من الكلام"⁽³⁾.

ويعرفها دي بوجراند بأنها: "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في

¹ عادل مناع: نحو النص، اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية: مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2011، القاهرة، ص61.

² بول وبراون، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير الرّكي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص38

³ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء: تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، بيروت، ط1، 1998، ص31.

العالم الخارجي الذي تشير إليه هذه العبارات"⁽¹⁾، أما هاليداي ورقية حسن فيعرفان الإحالة بأنها: "علاقة دلالية تتحقق بواسطة عنصرين هما: المحيل والمحال إليه"⁽²⁾، حيث يمثل المحيل نقطة انطلاق عملية الربط الإحالي، أما المحال إليه فهو نقطة وصول عملية الإحالة، ومن هذا المنطلق يفرق الباحثان بين إحالتين هما:

• **إحالة خارج اللغة * (exophora):** يشير فيها المتحدث إلى عنصر لغوي غير موجود في النص يستنبط من الموقف والسياق، فهي "إحالة عنصر لغوي إحالي إلى عنصر غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام في تفاصيله أو مجمله"⁽³⁾. ويقول هاليداي ورقية حسن أن الإحالة خارج النص "تساهم في خلق النص، كونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر"⁽⁴⁾.

• **إحالة داخل اللغة (endophora):** يرتبط فيها العنصر اللغوي بالكلمة المفردة أو الجملة أو النص، وهي "إحالة على العناصر اللغوية الواردة في النص الملفوظ"⁽⁵⁾. وهي على أنواع:

- إحالة على السابق (أو الإحالة بالعودة **Anaphora**): عندما يكون الكلام متصلاً بعنصر لغوي متقدم، حيث يتم فيها تعويض لفظ المفسر بالمضمر، نحو قوله عز وجل ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (هود/45)، فالهاء هنا تعود على (نوح) المتقدم لفظاً.

¹ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء: ص 14.

² محمد خطابي، لسانيات النص: ص 21.

* ترجم تمام حسان مصطلح (exophora reference) إلى "إحالة غير مذكورة"، في كتاب النص والخطاب والإجراء ص 332.

³ الأزهر الزناد، نسيج النص: ص 119.

⁴ محمد خطابي، لسانيات النص نقلاً عن هاليداي ورقية حسن: ص 37.

⁵ الأزهر الزناد، تسبيح النص: ص 118.

- إحالة على اللاحق: وتطبق على عنصر بعنصر تال في النص، ومن أمثلتها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص/1)، ضمير الشأن (سابق) = الله (لاحق).

ب- الاستبدال (Substitution): هو حذف عنصر لغوي وإحلال عنصر لغوي آخر يعوّضه ويقوم مقامه، فهو علاقة بين العناصر اللغوية الشكلية؛ أي الكلمات والعبارات، وهو صورة من صور الاتساق التي تتم في المستوى النحوي المعجمي، وعادة ما تكون حالات الاستبدال النصي قبلية، وبذلك فهو يختلف عن الإحالة التي هي عملية اتساق دلالية، وتكون سابقة ولاحقة⁽¹⁾، يقول هاليداي ورقية حسن: " والإحالتان الداخليّة والخارجية كلاهما جاء لربط المعنى بالسياق، أمّا الاستبدال فإنّه علاقة داخل النصّ"⁽²⁾.

▪ أنواع الاستبدال: يقع على أساس الوظيفة النحوية لعناصر الاستبدال التي هي الاسم والفعل والجملة، وبذلك فهو ثلاثة أنواع:

- الاستبدال الاسمي: ويتمّ باستعمال عناصر مثل: آخر، آخرين، نفس، ذات، الضمائر، أسماء الإشارة والاسم الموصول.

- الاستبدال الفعلي: ويمثله استعمال مادة (فعل) بصيغها المختلفة.

- الاستبدال الجملي: وتستعمل فيه أدوات مثل: (أيضا، كذلك، أجل، هذا، ذلك...) حيث تعوض هذه الكلمات جملة أو جملا كاملة داخل النص، شرط أن يتضمّن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها.

ج- الحذف (Ellipsis): هو العدول عن ذكر العبارات السطحية اختصارا والتي يمكن لمحتواها أن يوسع أو يعدل بواسطة القرائن المعنوية أو المقالية، يعد الحذف من العوامل الأساسية التي تحقّق الاتساق النصي، ويسمى روبرت دي بوجراند " الاكتفاء بالمبنى

¹ يشير مصطفى ناصف في كتابه (اللغو والتفسير والتواصل) إلى أن استبدال كلمة بأخرى له مخاطر حقيقية عند تأويل وتفسير النص.

² محمد خطابي، لسانيات النص: ص19.

العدمي* . يقول محمد خطابي في ذلك: "إنّ الحذف يقوم بدور معين في اتّساق النّص، وإن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الاتساق بالاستبدال أو الإحالة، ونظن أنّ المظهر البارز الذي يجعل الحذف مختلفا عنهما هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النّص"⁽¹⁾.

▪ **أنواع الحذف:** هو ثلاثة أنواع حسب ما ذهب إليه هاليداي ورقية حسن، وهي:

✓ **الحذف الاسمي:** هو حذف اسم داخل المركب الاسمي حسب موقعه الإعرابي، كما في حذف المبتدأ، والخبر، والفاعل، والمفعول به، والصفة، والحال، ويكون المحذوف مفردة أو جملة اسمية ظاهرا أو مضمرا

✓ **الحذف الفعلي:** حذف داخل المركب الفعلي، وغالبا ما يكون حذف الفعل وحده أو مع مضمر مرفوع أو منصوب أو معهما معًا.

✓ **حذف جملة أو أكثر:** وتشمل حذف الجملة كما في جملة القسم، جملة فعل الشرط وجوابه، جملة في سياق العطف، وقد تحذف أكثر من جملة اختصارا بدلالة عقلية أو لفظية أو حالية على المحذوف.

د- **الوصل (conjunction):** هو قرينة لفظية تدلّ على اتّصال السّابق باللاحق بشكل منظم، ويكون بين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبها، وبين القسم وجوابه... كما يتمّ بالضمير العائد، والحروف، أو باسم الإشارة، أو إعادة اللفظ أو المعنى بل " إن ابن الأثير قد مدّ هذا المبحث إلى الحروف الجارة لقدرتها على وصل الكلام وأن معانيها تخرج بها عن عملها النّحوي، وتكتسب دلالتها من السّياق الوظيفي"⁽²⁾، فهي وسيلة هامة من وسائل الاتّساق على المستوى التركيبي، من خلال قدرتها الظاهرة على الرّبط بين الجمل والمفردات،

* روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص340.

¹ محمد خطابي، لسانيات النص: ص22.

² ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق: كامل عويصة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ج2، ص41.

فهي علاقة إحالية تعتمد على آليات معجمية واضحة وصريحة في سطح النص.

▪ **أنواع الوصل:** قسم هاليداي ورقية حسن الوصل أو الربط إلى أربعة أنواع، وهي:

✓ الربط الإضافي: يتم بواسطة أدوات مثل: الواو، كذلك، ثم، أو، الفاء بالإضافة إلى ذلك، بالمثل، فضلا عن ذلك، أعني، أيضا، بتعبير آخر، بالمقابل... الخ وتفيد ربط السابق باللاحق وإضافة معنى جديد للمحتوى النصي.

✓ الربط العكسي: يربط بين شيئين غير متسقين معا في عالم النص، ومن تلك الأدوات: لكن، بل، وإما، خلاف، غير أن، على العكس، مع ذلك، على الرغم، مع هذا، بالمقابل... الخ.

✓ الربط السببي: يتم بين عنصرين أحدهما يعتمد على الآخر كالسبب والنتيجة، ويسمى أيضا الربط المنطقي ومن تلك الأدوات: كي، لأن، لام التعليل، من أجل، لذلك، لهذا.

✓ الربط الزمني: يُظهر العلاقات التي تربط بين جملتين متتابعتين زمنيا على نحو: قبل، بعد، منذ، بينما، في حين، كما، في ذات الوقت، حالا، الآن، في هذه اللحظة، سابقا، قبل هذا، حيث، في النهاية، حتى الآن، باختصار... الخ.

هـ- الاتساق المعجمي (lexical cohésion):

يتحقق من خلال العلاقات المعجمية بين المفردات، كالتكرار الذي يكون بإعادة عنصر من العناصر المعجمية للنص، أو وجود مرادف له أو شبه مرادف. ويطلق عليه بعض الباحثين اسم الإحالة التكرارية، ويقدم عادة للتوكيد أو الإيضاح.

ثانيا: الانسجام النصي

1- مفهوم الانسجام: هو تشكيلة من المعارف تشمل علاقة النص مع المحيط خارج لسانه، "ويلاحظ هنا إدراج دور التداولية اللغوية إلى جوار النحو والدلالة؛ فالعلاقات بين التداولية ومفاهيم الموقف والمقام والاتصال والنص علاقات وثيقة، فهي تعنى بالعلاقة بين بنية النص

وعناصر الموقف التّواصلي المرتبطة به بشكل منظم، ممّا يطلق عليه سياق النّص⁽¹⁾، فالانسجام يتجاوز مستوى الجمل أو متواليات الجمل إلى مستوى أعلى، فهو يتحقّق من خلال البنية الكبرى للنّص.

2- عناصر الانسجام النّصي:

أهمّ العناصر التي يقوم عليها الانسجام النّصي عند فان دايك، ما يلي:

أ- التّرابط: يشير فان دايك إلى العلاقات والقضايا التي يعرّ بها بواسطة مجموعة من الجمل والتراكيب مما يمكن أن نطلق عليه اسم الرّوابط، وهي ظاهرة خاصة من مجموعة الظواهر المتسقة في اللغة الطبيعية⁽²⁾، "وعلى الرّغم مما قيل من ورود علاقات مورفولوجية وتركيبية بين الجمل المتتابة، فإنّه يتضح أنّ العلاقات بين هذه الجمل ذات طبيعة دلالية في الغالب، ومن ثمّ يستند فيها إلى معنى الجمل والإحالة"³.

وإنّ وجود الرّوابط لا يعني بالضرورة أنّ الجمل مترابطة، وأنّ انعدامها لا يدلّ على انعدام التّرابط، ويمكن أن تكون الجمل مرتبطة أو مستغنية عن الرّبط، فقد يدلّ الرّبط على الاستلزام المنطقي وعلى التعليل والسببية والوصل والفصل... وغيرها.

▪ أنواع الرّبط: الروابط مجموعة من البنى اللغوية تربط بين الكلمات والجمل، لخصها فان دايك فيما يلي:

- الوصل التشريكي (العطف: الواو، أو، لأنّ، من أجل أن).
 - الظروف الاسمية والحرفية: مثل مع أن، بالرغم من، ونتيجة لذلك...
 - صيغ التعجب والحروف الزائدة، والظروف المنفية على نحو: من، هنا...
- ب- الانسجام⁽⁴⁾: يقوم على تأويل الجمل المفردة بتأويل جمل أخرى قبلها أو بعدها، اعتمادا

¹ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: ص 124-125.

² المرجع نفسه: ص 34.

³ فان دايك، علم النص مدخل، متداخل الاختصاصات: ص 142.

⁴ الانسجام يعبر عنه فان دايك بالاتساق.

على خاصة الإضمار أو التّضمين (الحلقات المفقودة) التي يمكن إعادة تركيبها بقوانين الاستدلال أو النظريّة المعرفية، وتُجمل أدوات الانسجام عند فان دايك فيما يلي:

- تطابق الذوات.

- علاقات التضمن: الجزء، الكل، الملكية.

- تعالق القضايا في العوامل الممكنة والمفترضة والمعرفة بجريان الأحداث.

- ترابط وتطابق الإحالة النصية.

- التطابق التكراري.

- ترتيب الحدث والقضايا (ترتيب الخطاب). ويقصد به ورود الوقائع في سلسلة من

الجملة تخضع لترتيب معين في عالم ممكن.

- ومن العلاقات التي تحكم ترتيب الوقائع في النص، ما يلي⁽¹⁾: عام - خاص، كل -

جزء - مركب، مجموعة - فئة - عنصر، المتضمن - المتضمن، كبير - صغير،

خارج - داخل، المالك - المملوك.

ج - البناءات الكبرى للنصوص: تحدّد البنية الإجمالية للنص بحذف بعض التفاصيل من

مضمون النص حسب اختلاف المرجعية الثقافية والنقدية للمتلقي، وتضطلع القواعد الكبرى

للنص بتمييز ما هو أساس في النصّ ممّا هو ثانوي، وأهمّها:

○ الحذف أو الانتقاء: يخصّ الأحداث التي لا ضرورة لها في تأويل القضايا اللاحقة.

○ البناء أو الإدماج (التركيب): وتخصّ استبدال متتالية من القضايا بقضية تحيل إلى

الحدث ذاته الذي يحيل إلى قضايا المتتالية في مجملها⁽²⁾.

○ التعميم: وهو حذف سلسلة من القضايا، واستبدالها بقضايا التتابع، ولا تكون هذه

القواعد فعّالة إلا إذا كان للمتلقي معرفة بخلفية النص.

¹ فان داكن النص والسياق: ص 197-198.

² سليمان بوراس، مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما: مجلة دراسات أدبية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة،

مركز البصرة، القبة، الجزائر: العدد 04، ص 102.

د- **النص والسياق**: يتحدّث في نصف الكتاب الآخر (النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، عن السياق ويميّز [فان دايك] بين ثلاثة أنواع من السياق، وهي:

○ **السياق التداولي**: تهتمّ التداولية بالصّلة بين بنية النص والموقف التّواصلي بما يتضمّنه من عوامل نفسية واجتماعية؛ إذ أنّ الفعل اللساني يُنجز بجملة أو متتالية من الجمل في سياق يكون ملائماً وفق شروط ذات صلة بالسياق الذي يُتلفظ فيه بالعبارة... (1).

○ **السياق النفسي الإدراكي**: يقوم فم النص في سياقه الإدراكي -حسب فان دايك- على ما يلي:

- يوظّف المتلقي مكتسباته المعرفية المخزنة في الذاكرة.
- تخزّن ذاكرة المدى الطويل البيانات، مع الرّبط بين القضايا لحفظ الجمل والمتتاليات الجمالية حتّى تتمكّن من إعادة إنتاجها واستعمالها بصفة دورية.
- تحتفظ الذاكرة العلمية ببعض البيانات (منظمة ومختصرة) للحفاظ على الترابط الخطي على نص معين.

○ **السياق الاجتماعي**: تُنجز الأفعال اللسانية في سياقات ومقامات اجتماعية.

ه- **الخطاب وأفعال الكلام الإنجازية**: يقسم فان دايك الأفعال الكلامية الإنجازية إلى قسمين:

- فعل إنجازي بسيط، وهو ما يحدث عنه أثر واحد مراد، كالتحية والمشي.
 - فعل إنجازي مساعد؛ "وهو كلّ فعل تقصد نتيجته كشرط لنجاح فعل بسيط..." (2).
- كما قسّم أفعال الكلام المركبة إلى قسمين:

- مؤلفة: تقوم على عناصر الأفعال المكونة من نفس المستوى.
- معقدة: إذا صارت الأجزاء التي تدخل في عناصر الأفعال الكبرى كالفعل المساعد.

¹ فان دايك، النص بنى ووظائف: نقلا عن: منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص: ص171-172.

² فان دايك، السياق والنص: ص302.

ويفرّق بين متوالية الأفعال الكلامية، والفعل الكلامي المركب؛ إذ أنّ متتالية الأفعال يمكن أن تكون منفصلة ومستقلة بعض الشيء، والفعل الكلامي المركب تكون له نتيجة مقصودة ومخططة ومحدّدة بوضوح⁽¹⁾.

¹ فان دايك، السياق والنص: ص 306-307.

المحاضرة الثالثة عشر

الدراسات اللسانية العربية الحديثة 1

عناصر المحاضرة:

1- تلقي اللسانيات الغربية عند رواد النهضة

2- اللسانيات الوصفية في درس اللساني العربي الحديث

3- تمام عسانو

1- تلقي اللسانيات الغربية عند رواد النهضة

بدأ انتقال اللسانيات الغربية إلى الدرس اللساني العربي الحديث مع بداية احتكاك العرب بالغرب، ولعل الأمر برمته يعود إلى "الاتصال الفعلي بالحضارة الغربية في العصر الحديث وفي مصر تحديداً إذ برز التأثير بهذا الفكر في كتابات رفاعه الطهطاوي الذي دعا إلى إنشاء مجامع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي"⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أنّ أعضاء البعثات العلمية لم تكن غايتهم لغوية خالصة إلا أنّ تأثرهم بالدرس الغربي جعلهم يسهمون في بعث الدرس اللغوي من خلال محاولاتهم التيسيرية التي وسمت جيلا من اللغويين في العصر الحديث أمثال رفاعه الطهطاوي وإبراهيم مصطفى الذي أراد إحياء النحو العربي وإخراجه من الجمود الذي وقع فيه وتخليصه من التعقيد الذي دفع المتعلمين إلى هجرانه، إذ يقول: "أطمع أن أُغَيّر منهج البحث النحوي للغة العربية وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منهم أصولا سهلة يسيرة، تقربهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها..."⁽²⁾، وقد أرجع المشكلة إلى وضع النحو وقواعده، ورأى أنّ الحلّ يكمن في تغيير المنهج، "ولقد بذل في تقويم النحو جهود مجيدة، اصطُنعت أصول التّعليم اصطناعاً بارعاً.. ألا يمكن أن تكون تلك الصّعوبة من ناحية وضع النحو وتدوين قواعده، وأن يكون الدّواء في تبديل منهج البحث النحوي للغة العربية"⁽³⁾.

وبذلك بدأ ثورة تجديد النحو العربي وتخليصه من التعقيدات التي اكتسبها مع مرور الزمن، وإعادة إخراجه للدارس العربي في حلّة جديدة تتميز بالبساطة واليسر.

واقترفى طريقه جورجى زيدان الذي حاول إبعاد الدّارس عن تعقيدات التراث ووصله بالدراسة اللغوية الحديثة، متأثرا بالفكر الغربي⁽⁴⁾، وبذل في ذلك جهودا معتبرة، إذ نشر في

¹ ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث: ص12.

² إبراهيم مصطفى، إحياء النحو: المقدمة، ص 13.

³ إبراهيم مصطفى، إحياء النحو: المرجع نفسه. ص14.

⁴ ثار العلماء في الغرب على الدرس القديم، واعتبروه سبب التخلف الذي لحق باللغة.

فترة مبكرة كتابين في اللغة: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، واللغة العربية كائن حي، وقد حاول في هذين المؤلفين أن يعرض شيئاً مما كان متداولاً بين علماء اللغة الغربيين عن طبيعة اللغة ووظيفتها وطرق تحليلها سيرا على خطى المستشرقين الألمان الذين تركوا بصمتهم على الدارسين العرب الذين أتخذوا من بحوثهم إطاراً مرجعياً لجملة من البحوث والدراسات اللغوية العربية من خلال توجيههم إلى إعادة قراءة قواعد اللغة، وتيسير النحو، ونقد نظرية النحو العربي، وقد ذكر إبراهيم مصطفى ذلك صراحة، حين قال: "ولكننا من قبل أن نأخذ في شرحها، يجب أن نعرض لرأي في أصول الإعراب رآه المستشرقون واستعانوا فيه بدرسه علم اللغات ومقارنتها"⁽¹⁾.

وتبع هؤلاء الرواد دارسون من تلامذتهم وآخرون أمثال مهدي المخزومي، سلامة موسى ومحمد كامل حسن... الذين تركوا أعمالاً تنتظر إلى اللغة العربية بمنظار منهجي جديد يمثل المرحلة أحسن تمثيل.

وقد طالت هؤلاء الدارسين وأعمالهم انتقادات متعدّدة من جيلهم أو ممن تلاهم، لسيرهم في تيار يخالف ما عهده دارسو اللغة وما تقع عليه أنظارهم في كتب التراث، فقد جنح ندهم للتراث إلى الإغراب واقتفاء أثر علماء الغرب فحسب.

ويصنفون إلى صنفين:

- صنف محافظ بعيد عن التفكير اللساني.

- صنف يسعى إلى البحث عن أصول لسانية صريحة، ويحاول أن يطبق المناهج الغربية على قواعد الدرس اللغوي العربي، وتفرقوا نحو وجهتين: وجهة لسانية تاريخية ووجهة لسانية وصفية.

إنّ مرحلة التجديد والتيسير كانت بداية لإعادة قراءة التراث العربي تأثراً بالمناهج الغربية؛ فدعوا إلى تقريب النحو إلى أذهان المتعلمين، ومنهم عبد الرحمن أيوب في كتابه

¹ إبراهيم مصطفى، إحياء النحو العربي: ص 38.

"دراسات نظرية في النحو العربي" الذي سار فيه على منوال اللساني بلومفيلد رائد مدرسة التحليل الشكلي، وتمام حسان في كتابه "اللغة العربية معناها وبنائها" الذي اقتفى أثر أستاذه فيرث صاحب نظرية السياق...

إضافة إلى دارسين جنحوا إلى إعادة قراءة التراث بنظرة اللسانيات الغربية الحديثة التي تلقوا أصولها في الجامعات الغربية التي تابعوا دراستهم فيها وشربوا من أفكار أساتذتهم وعادوا يحدوهم الأمل في تطبيق المناهج الغربية على اللغة العربية بغية النهوض بها وبالدرس اللساني العربي الحديث برمته إلى مستوى الدرس الغربي.

لقد تمخض الاحتكاك بين الحضارتين عن نقل الثقافة اللسانية الغربية إلى البلاد العربية وبداية مرحلة جديدة في تاريخ اللغة العربية، ودخلت اللسانيات كوافد جديد أفرز شعورا تراوح بين التطلع إلى ما يحمله في جعبته من جديد، والخوف منه في ظل التراث اللغوي الضخم، وتفرّقا بين مناهج اللسانيات الغربية واتجاهاتها تبعا لتكوين كل باحث وقناعته أو جريا وراء كل جديد مستحدث.

2- اللسانيات الوصفية في الدرس اللساني العربي الحديث:

عرف الاتجاه الوصفي طريقه إلى الثقافة العربية بعد أن عاد الموفدون المصريون الذين درسوا في جامعة لندن إلى بلادهم، وقد كان من بين العائدين من تخصص في اللسانيات، أو أحد فروعها، لكن القاسم المشترك بين هؤلاء الدارسين هو تلمذتهم على يد لغوي واحد هو الإنجليزي [فيرث/FIRTH].

فيمكن ربط تبني المنهج الوصفي في الدرس العربي بعودة البعثات المصرية من إنكلترا إلى بلادهم محملين بأفكار اللساني الإنجليزي المتميز فيرث⁽¹⁾، وكان لهم دور بارز في صياغة الخطاب اللساني العربي وإثراءه، ونخص بالذكر منهم: إبراهيم أنيس، وتمام حسان، ومحمود السعران، وعبد الرحمن أيوب، وكمال بشر... فعلى الرغم من أنهم يدينون

¹ نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ص 216.

في مرجعيتهم إلى أستاذهم فيرث، وينتمون إلى توجّه مدرسي واحد تقوده مدرسة واحد، إلا أنّ اهتماماتهم اختلفت، واتّجه كلّ باحث منهم إلى مستوى معيّن أو موضوع محدّد يدرسه ويؤلف فيه⁽¹⁾.

لقد اطلع الدارسون العرب على اللسانيات الوصفية في الغرب، وحاولوا تطبيق منهجها على اللغة العربية، ويمكن تصنيف دراساتهم إلى صنفين:

- **صنف** سعى إلى تعريف القارئ العربي بالمبادئ والأسس اللسانية التي قامت عليها اللسانيات الوصفية، كما هو الحال عند محمود السّعران ، وتمام حسان...

- **صنف** وقف مدافعا عن الفكر اللساني الحديث، من خلال شرح وإظهار إيجابياته النظرية والمنهجية، ومقارنته بالفكر اللغوي العربي القديم⁽²⁾.

وما يمكن التنويه إليه -هنا- هو وعي رواد التجديد بما ينتظرهم من ردود أفعالٍ سلبية ورفضٍ لما يبشرون به من أفكار، ينبئك بذلك قول عبد الرحمن أيوب في تقديمه لكتابه دراسات نقدية في النحو العربي: " أمّا كيف يتلقّى الناس هذا الكتاب فإنّي أعلم مقدّمًا أنّ منهم من سيعتبره كفراناً بثقافتنا التقليديّة وتجريحاً لسلفنا اللغوي الصالح"⁽³⁾، وقول محمود السّعران: " أمّا جمهور المشتغلين بالدراسات اللغوية عندنا فأغلبهم يرفضون النّظر في هذا العلم الجديد أو لا يحاول تفهّمه، أو يعجب بما في يده من علم قد يحلّ محله علم حادث وافد في البلاد العربية، وخيرهم ظناً بهذه الدّراسة الجديدة وبالقلّة القائّمة بها من أبناء العربية يعدّ علم اللغة أو بعض فروع كعلم الأصوات اللغوية (ترفاً) علماً لم يؤن الأوان بعدُ للانغماس فيه أو التطلّع إليه"⁽⁴⁾، ولم تقتصر ردود الأفعال هذه على العامة من الناس أو من غير المختصين فحسب، بل طال النّخبة ذات الاختصاص في المؤسسات الأكاديمية،

¹ ينظر: نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: سبق ذكره، ص 216.

² ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي - دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث: ص 167.

³ دراسات نقدية في النّحو العربي: المقدمة، ص و.

⁴ علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي: ص 21-22.

ويروي تمام حسان تجربته مع هذه الفئة قائلاً: "و حين كنت أتولى تدريس علم الأصوات اللغوية لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم بالقاهرة، -فيما بين عامي 1953 و 1959- كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة، ولاسيما عند تطبيق منهجها وأفكارها على دراسة اللغة الفصحى... لأنَّ الأول ما ترك للأخر شيئاً، حتَّى إنَّ النَّحو قد نضج حتى احترق"⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هناك دراساتٌ لغويةٌ اهتمت بالبحث اللغوي الحديث وسبقت جهود الوصفيين العرب ومهدت لهم الطريق، إذ ألف علي عبد الواحد وافي كتابه (علم اللغة)، سنة (1941م) الذي يعدُّ أول محاولة تأليف في ميدان الدراسات اللغوية الحديثة، حيث يصرِّح بذلك قائلاً: "لم يُكْتَب فيه باللغة العربية على ما أعرف مؤلِّفٌ يعتد به"⁽²⁾.

3- تمام حسان أنموذجاً:

ويعدُّ تمام حسان رائد اللسانيات الوصفية في الدراسات العربية الحديثة، إذ يحظى بأهمية كبيرة في الدراسات اللغوية عامة، وفي البحث الدلالي خاصة، فهو أول باحثٍ عربيٍّ تبنَّى المنهج الوصفي صراحة، وسعى إلى التعريف به، وبيان الأصول والمبادئ التي قام عليها، فضلاً على أنَّه يعدُّ الباحث العربي الوحيد الذي قدَّم قراءة وافية للتراث النَّحوي العربي من خلال مشروع طموح لوصف ظواهر اللغة العربية ومستوياتها.

وقد تشبَّع تمام حسان بمبادئ المنهج الوصفي ومقولاته من خلال دراسته في إنجلترا وتتلّمذه على يد فيرث، وطبَّق هذا المنهج في وصفه للهجتين، هما:

- دراسة " لهجة الكرنك بمديرية قنا" للحصول على شهادة الماجستير (جامعة لندن).

- دراسة "لهجة عدن في جنوب بلاد العرب" حصل بها على شهادة الدكتوراه (جامعة

¹ اللغة العربية معناها ومبناها: تقديم الكتاب، ص 7.

² ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية - حفريات النشأة والتكوين: ص 136.

(لندن)⁽¹⁾.

ويقسّم الدارسون مؤلفات تمام حسان اللسانية إلى قسمين:

- القسم النظري: قدّم فيه مبادئ اللسانيات الوصفية، ويظهر ذلك في مؤلفين:

✓ كتاب [مناهج البحث في اللغة] الذي صدر في سنة (1955م) في القاهرة.

✓ كتاب [اللغة بين المعيارية والوصفية] الذي صدر في سنة (1958م).

- القسم الإجرائي التطبيقي: جنح فيه المؤلّف إلى تطبيق مبادئ الوصفية ومفاهيمها على التراث اللغوي العربي، ويظهر ذلك في مؤلفين:

✓ كتاب [اللغة العربية معناها ومبناها] الذي صدر في سنة (1973م) في القاهرة.

✓ كتاب [البيان في روائع القرآن].

يعدّ مشروع تمام حسان اللساني المشروع العربي المشرقي الوحيد الذي ينتمي إلى اللسانيات صراحة⁽²⁾؛ لأنّه تبنّى اللسانيات تعريفاً وإجراءً، ذلك أنّه رضع اللسانيات الوصفية، تعلّم على يد أصحابها، أو دراسة لمؤلفاتهم، متبنياً الاتجاه التوفيقي مذهباً كما عبّر عن ذلك في أول مؤلّف كتبه [مناهج البحث في اللغة]، بقوله: "وتشعبت المسالك أمام الشعب ... فوجد أمامه طريقاً يقوده إلى التراث العربي الخصب، ورأى أنّه لو بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعاً لعزّة جديدة لا نقل روعة عن التاريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقاً في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف يمكن أن ترقى به إلى مستوى هذه الأمم ذات العلوم والمعارف، ثم رأى لو أنّه سلك الطريق الأول فحسب لانقطع به التاريخ عن الحياة، ولو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضّل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي إليه بالاعتزاز ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزّة"⁽³⁾.

¹ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: مقدمة الكتاب.

² ينظر: عز الدين مجدوب، المنوال النحوي - قراءة لسانية جديدة: ص: 37.

³ مناهج البحث في اللغة: تقديم، ص: و.

لكنه جنح -حسب الدارسين- بعد ذلك إلى التراث العربي ابتداء من تاريخ صدور كتابه [الأصول، دراسة إيستمولوجية للفكر اللغويّ العربيّ] سنة (1981م)، حيث يقول: "لم أخف إعجابي بأصالة التفكير العربي لدى نحائنا القدماء، ولم أُحجم عن وصف بنائهم النظري الذي جرّده تجريدا من المسموع بأنّه صرّح شامخٌ وجهدٌ عقليّ من الطراز الأول"⁽¹⁾، وكلّ الدراسات التي ألفها تمام حسان بعد ذلك تصبّ في مصبّ الفكر اللغوي العربي القديم، مع الاستئناس بمفاهيم لسانية حديثة، لكن في حدود المحافظة على الفكر القديم، كما هي الحال مع كتابه "البيان في روائع القرآن".

¹ الأصول، دراسة إيستمولوجية للفكر اللغويّ العربيّ: ص 9.

المحاضرة الرابعة عشر الدراسات اللسانية العربية الحديثة 2

عناصر المحاضرة:

- اللسانيات التوليدية في درس العريف الحديث
- اللسانيات الوظيفية في درس العريف الحديث
- النظرية الخليلية لعبد الرحمن الحاج صالح

➤ اللسانيات التوليدية في الدرس العربي الحديث:

تعرف اللسانيون العرب على اللسانيات التوليدية التحويلية في مطلع السبعينيات، وتبناها بعضهم، وتمكنوا "من تقديم جملة من الافتراضات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة ومعجماً. وجاءت بعض هذه الكتابات مضاهية شكلاً ومضموناً لنظيرتها الغربية أمريكية وأوروبية من عدة أوجه، في مقدمتها تقيدها المطلق بشروط وقواعد البحث العلمي اللساني وخطابه"⁽¹⁾، كما تمكنوا من مواكبة التطورات المتلاحقة التي عرفتھا النظرية في منشئها، وصارت دراسة العربية "محكومة بجملة من الأصول والمفاهيم النظرية والمنهجية المضبوطة، فمن دون معرفة الإطار الذي تندرج فيه هذه الكتابة أو تلك لا يمكن بأي حال من الأحوال إدراك طبيعة التحليل ونتائج النظرية، فلم يعد يُنظر للغة العربية نظرة حرة اعتباطية قائمة على التأمل والانطباع، وإنما تتقيد المقاربة بالإطار الذي تشتغل فيه ومحاولة تطبيقه على اللغة العربية، مستعملة مجموعة من وسائل الاستدلال والبرهنة على ما تقوم به"⁽²⁾.

وإذا رصدنا الدراسات التوليدية العربية، لا نحصل إلا على نزر قليل منها، تنسب إلى بعض الأعلام العربية⁽³⁾، لكنها استطاعت أن تنتج جهداً عربياً أصيلاً، تعرض افتراضات جديدة لدراسة بنية اللغة العربية من منظور توليدي، مما يجعل الدرس اللساني العربي في إطار الدرس العلمي.

وقد طُبقت مبادئ النظرية التوليدية على اللغة العربية، على مستويات لغوية متنوعة، وكان التركيز فيها على المستوى التركيبي جلياً؛ بوصفه المستوى الذي عُني به تشومسكي في أغلب دراساته اللسانية، وهذا ما نلاحظه في كتابات الفاسي الفهري وداود عبده التي كانت مواكبة للتطورات المتلاحقة التي عرفتھا النماذج التوليدية مع تحديث الآلة الوصفة لمعطيات اللغة العربية، والانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللساني

¹ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة - أسئلة المنهج: ص 223.

² ينظر: حافظ إسماعيل علوي، أحمد الملاح، قضايا أبيستمولوجية في اللسانيات: 288-289.

³ المرجع نفسه: ص 89.

العربي المعاصر والتوليدي منه بشكل خاص⁽¹⁾.

وقد تولّى إدريس السغروشني التعريف بالجانب الصوتي، وهذه الدراسة تمكّن القارئ من التعرف على مختلف الاتجاهات الصوتية في إطار الصوارة التوليدية، التي تكون جزءاً من النحو التوليدي⁽²⁾، واقتصرت جهوده في هذا الجانب، في حين حاول محمد بلبول تطبيق النظرية التوليدية في جانبها الصرفي على اللغة العربية، في كتابه "بنية الكلمة في اللغة العربية"⁽³⁾.

ولكن ما نلاحظه هو إهمال الباحثين التوليديين العرب المستوى الدلالي في اللغة العربية، على الرغم من ارتباط كثير من القضايا التركيبية في العربية في جوانب متعدّدة منها بمستويات اللغة الأخرى، ولا يمكن معالجتها بمعزل عن بعضها بعضاً إلا لاعتبارات منهجية ليس إلا⁽⁴⁾. غير أنّ ذلك لا ينفي وجود دراسات توليدية عربية معنية بالبعد الدلالي للغة العربية، فقد أصدر عددٌ من الباحثين العرب دراساتٍ دلاليةً، كان لها أثرٌ مهمٌّ في تعميق البحث في المستوى الدلالي، من خلال تقديمهم أبحاثاً نظرية وتطبيقية جادة، سعت إلى تمثّل الجانب الدلالي في النظرية التوليدية، وتطبيقه على اللغة العربية،

ف نجد محمد غاليم اعتمد نظرية الدلالة التصورية للساني الأمريكي جاكندوف، والتي تقترض أنّ المكونات (التركيبية والصواتية والدلالية) تمتلك القدرة على توليد الجمل في آنٍ واحد، واعتمد مازن الوعر نظرية الدلالة التصنيفية للساني الأمريكي ولتر كوك، والتي عدّت المكون الدلاليّ مكوناً توليدياً، إضافة إلى اللساني المغربي عبد القادر الفاسي الفهري الذي تبني النظرية الوظيفية المعجمية، التي أبقّت المكوّن التركيبي الأساس في عملية توليد الجمل.

¹ مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية - حفريات النشأة والتكوين: ص 289.

² إدريس السغروشني، مدخل للصوارة التوليدية: ص 6.

³ محمد بلبول، بنية الكلمة في اللغة العربية تمثيلات ومبادئ: ص 24.

⁴ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية - حفريات النشأة والتكوين: ص 326.

➤ اللسانيات الوظيفية في الدرس العربي الحديث:

كانت نظرية اللساني الإنجليزي فيرث من أهم النظريات الوظيفية التي أطرت البحث اللساني العربي، بحكم أنّ عددا من الدارسين العرب ارتادوا الجامعات الأوروبية، وخصوصا البريطانية، مما مكّنهم من التعرف على الآراء الوظيفية التي اتضحت جليّة في كتابات كثير من الباحثين العرب المحدثين، كإبراهيم أنيس وتمام حسان ومحمود السعران وكمال بشر...

وخلافا لما سبق في تبني الدارسين لمنهج لساني صراحة، فلم يصرّحوا عند اعتمادهم المنهج الوظيفي بأنّ منهجهم في الدراسة هو المنهج الوظيفي، على الرّغم من تأثرهم الواضح بنظرية فيرث الوظيفية، حيث يعمدون إلى عرض نتائجهم اللغوية ويقدمون أنفسهم على أنّهم وصفيون؛ فتمام حسان عند تقديم عمله في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" يقول: والغاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن ألقى ضوءاً جديداً كاشفاً على التراث اللغوي العربي كلّ منبعا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة⁽¹⁾، حيث إنّ مقصده من الدرس اللغوي هو المعنى، باعتماده نظرية سياق الحال (نظرية السياق لفيرث)، وفي ذلك جنوح إلى الوظيفية التي تعتمد المعنى، في حين تستتكف الوصفية عن دراستها.

وتمام حسان في أعماله اللسانية لم يكن وصفيّاً خالصاً ولا وظيفياً محضاً؛ إذ كان يزاوج بين الوصفية والوظيفية، وعاش مرحلة من مراحل تطور الوصفية لدى بعض النّحاة العرب المحدثين نحو الوظيفية الجديدة التي تبلورت فيما بعد على يد أحمد المتوكل.

وقد عمد بعض الباحثين العرب إلى محاولة الكشف عن أصول المنهج الوظيفي في الدّراسات العربية القديمة، ونقاط الالتقاء بينهما، فدرسوا آراء المدرسة المعروفة بالوجهة الوظيفية لدراسة الجملة، مع المقارنة بين مبادئها في تحليل الجملة وآراء الجرجاني النّحوية والبلاغية⁽²⁾.

واهتمّ اللسانيون التونسيون بوظيفية أندري مارتيني، فترجموا أعماله إلى العربية، وعرفّوا بأفكاره، وحاولوا تطبيقها على بعض المظاهر التركيبية للجملة العربية؛ على اعتقاد أنّ

¹ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ص 10.

² مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج: 243-244.

هذه النظرية لم تتبلور في كل مظاهرها مع حلقة براغ، بل تواصل بناؤها وصقلت مفاهيمها عن طريق اللساني الفرنسي أندري مارتيني.

وفي المغرب الأقصى ظهرت أعمال أحمد المتوكل الذي حاول أن يؤسس نحوًا وظيفيًا للغة العربية، يكون بإمكانه أن يرصد جميع القضايا النظرية والمسائل التطبيقية للغة العربية، إذ يقول: "حاولنا جهدنا في هذه المجموعة من الدراسات أن نشارف هدفين اثنين: إغناء لسانيات اللغة العربية بتقديم أوصاف وظيفية لظواهر نعدّها مركزية بالنسبة لدلالات وتركيبات وتداوليات هذه اللغة، وتطعيم النحو الوظيفي كلّما مسّت الحاجة إلى ذلك بمفاهيم يقتضيها الوصف الكافي لهذه الظاهرة أو تلك"⁽¹⁾.

والمنعم النظر في أعمال المتوكل يستنتج أنّ هدفه الحقيقي لم يكن تطبيق نظرية النحو الوظيفي على اللغة العربية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى محاولة الإسهام في تطوير نظرية النحو الوظيفي بمجموعة من المعطيات الواردة في التراث اللغوي العربي، وزيادة آليات تحليل تسدّ بعض ثغرات هذا النموذج⁽²⁾.

لقد اعتمد أحمد المتوكل المذهب التوافقي ابتداء من دراسته الأولى في أطروحة الدكتوراه "تأملات في نظرية المعنى في الفكر العربي القديم" سنة (1982م)⁽³⁾، التي بحث فيها عن نظرية اللغويين العرب في المعنى - خاصة التراث اللغوي العربي البلاغي - ومقارنتها بالنظريات اللسانية المعاصرة، مع دمج تحليلات الأولى بالخطاب اللساني المعاصر، وكان المذهب التوافقي ماثلاً في ذهنه في جميع أعماله.

وعلى الرّغم من تبني المتوكل نظرية النحو الوظيفي سنة (1985م) إلاّ أنّه لم يتخل عن المذهب التوفيقي، وبقي مؤمناً بضرورة مدّ الجسور بين مقولات هذه النظرية والفكر اللغوي العربي القديم، من خلال "إضاءة نسق اللغة العربية صرفاً وتركيباً واستعمالها فصحي ودوارج في مختلف القطاعات الاجتماعية - الاقتصادية من منظور مبدأ تبعية البنية لوظيفة

¹ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية: ص 10.

² حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: ص 348.

³ كتبت هذه الأطروحة بالفرنسية، بإشراف غريماس، ونُشرت ضمن منشورات كلية الآداب، في الرباط.

التواصل، ومدّ الجسور لوصول البحث اللساني الوظيفي بالتنظير العربي للدلالة، منظوراً إليه في جملته نحواً وبلاغة وفقه لغة وأصول فقه وتفسيراً⁽¹⁾، ويؤكد توجهه التوفيقى وعدم الحيد عنه بوسم كتابه "المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي - الأصول والامتداد".

ويرى بعض الباحثين أن الكتابات الوظيفية في الثقافة العربية لم تقدّم للقارئ العربي الإطار العام للسانيات الوظيفية منذ نشأتها مع مدرسة براغ إلى يومنا هذا، إذا استثنينا منها الأعمال الوظيفية لبعض الباحثين المغاربة، وعلى رأسهم أحمد المتوكل الذي وصف ظواهر معجمية وصرفية - تركيبية ودلالية وتداولية في اللغة العربية من منظور النحو الوظيفي.

➤ النظرية الخليلية لعبد الرحمن الحاج صالح:

هي نظرية لسانية حديثة سطر معالمها اللساني الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح، مبنية على أساس إعادة إحياء الفكر اللغوي التراثي وإخضاعه أو تطويره حتى يتوافق ومتطلبات الرؤية الحديثة (متطلبات الحوسبة اللغوية، متطلبات تعليم اللغة العربية بمراعاة التقنيات الحديثة...).

ومن أجل معرفة قيمتها وتمييزها تمت مقارنتها بالنظريات اللسانية الغربية الحديثة؛ كالنظرية البنوية والنظرية التوليدية التحويلية، في واقع لساني ينجح إلى تفضيل ما هو وافد على المحلي، وفي ذلك يقول الحاج صالح: "ومن الغريب جداً أن تكون هذه الأعمال التي لا تقل أهمية عن أعمال أكبر العلماء المحدثين في العلوم الأخرى مجهولة تماماً عند أكثر الناس، بل ومجهولة في كنهها وجوهرها عند كثير من الاختصاصيين المعاصرين"⁽²⁾، ويرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب أجمالها في النقاط التالية:

- المعرفة السطحية بالتراث والمفاهيم العلمية الحديثة بما فيها العلوم الدقيقة وعلم المعرفة العلمية (الإبستمولوجية).

- استغلاق ما تركه علماء الصدر الأول على أفهام الكثير من المتأخرين والمحدثين.

¹ أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي - الأصول والامتداد: ص 15.

² عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم، الجزائر. 2012. ج1، ص208.

- التسليم المطلق لما جاءنا من الغرب من الأقوال والمذاهب اللغوية بدعوى أنها آخر ما توصل إليه العلم الحديث، وأنّ الباحثين العرب لم يبلغوا بعد مستوى الاجتهاد.
- التّعصّب لمذهب لساني غربي لكون هذا الباحث أو ذاك قد تتلمذ على يد ذاك العالم الغربيّ، ويعتقد أنّ كلّ ما يقوله غيره مجانب للصواب.
- تجاهل بعض الباحثين للتّراث العلميّ العربيّ في ميدان اللّغة وخصوصا ما اختصّ به العرب دون غيرهم وما أبدعوه من المفاهيم ولم يوجد ما يقابله في التّراث الفكريّ اليونانيّ اللّاتينيّ ولا في المذاهب اللّغوية الغربيّة الحديثة، وهذا التّجاهل ناتج عن جهل أوّلا بجوهر المفاهيم والتّصورات العربيّة، وثانيا لاعتقاد الرّاسخ عند أكثر المحدثين أنّ ما ظهر عند العرب من الأفكار ولم يثبته اللّغويّون الغربيّون لا قيمة علميّة له⁽¹⁾.

➤ المفاهيم الأساسيّة للنّظرية الخليلية:

ترتكز النّظرية الخليلية على عدد من المفاهيم والمبادئ الأساسيّة لتحليل اللغة نذكر

فيما يلي أهمّها:

○ الاستقامة:

ذكر سيبويه في بداية كتابه " فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسأتيك غدا. وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فإن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكبي زيد يأتيتك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فإن تقول: سوف أشرب ماء البحر"⁽²⁾، فهو يميّز في تقسيمه الكلام بين السّلامة الخاصّة باللفظ: المستقيم الحسن، والمستقيم المحال، وقد فسّرها الحاج صالح كما يلي:

- مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، حوليات جامعة الجزائر، مجلد 06، عدد 01، 1991. ص ص: 33-44.

² سيبويه، الكتاب: تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج1، ص 25-26.

- مستقيم قبيح = غير لحن ولكنه خارج عن القياس وقليل
 - محال = قد يكون سليما في القياس والاستعمال ولكن غير سليم من حيث المعنى⁽¹⁾.
 والجملتان: (سأتيك أمس) و(سأتيك غدا) تتناسب مع القواعد التركيبية التي تحكم العلاقة بين الفعل أتى الماضي، وظرف الزمان الدال على الزمن الماضي أمس، ويتضمن المستقيم القبيح الجملتين (قد زيدا رأيت) و(كي زيد سأتيك)؛ لورود الاسم بعد(قد، وكي) لا يخرجهما من باب الاستقامة لكونهما ارتبطتا بكلام العرب في الشعر لا في النثر، ولم تطرد قاعدة ورود الاسم بعدهما في منثور كلام العرب، وإنما أوردته الضرورة الشعرية.
 في حين يخرج المحال عن المعنى الحقيقي الذي وضع له في الأصل، فصح بذلك لفظه، واستحال معناه، وإذا خرج اللفظ عن المعنى الموضوع له في الأصل كما في المجاز، فتعتى البلاغة بنقل المعاني من أصلها الوضعي إلى معنى آخر.
 وهذا يقوم دليلا على أنّ النظرية الخليلية الحديثة تفصل بين التركيب والدلالة على أساس أنّهما علمان مختلفان، فالأول يُعنى بقواعد انتظام اللفظ (علم النحو)، ويُعنى الثاني بالمعنى الدلالي الذي يمكن أن يأتي وفق هذه القواعد، وهو علم البلاغة.

○ المثال:

المثال أو البناء أو الحدّ أو الرّنة هو: " مجموعة من المواضيع الاعتبارية مرتّبة ترتيبا معيناً يدخل في بعضها، وقد تخلو منها العناصر الأصلية وما فوقها⁽²⁾، فالمثال هو بنية تتدرج فيها وحدات عدة، ويوجد في جميع مستويات اللغة التي تدل على معنى، وهو مفهوم منطقي رياضي محض ينطبق على مستويات اللغة، أدناها مستوى الكلمة، وأعلاها مستوى التراكيب. ويرى الحاج صالح أنّ مفهوم المثال لا مقابل له في اللسانيات الغربية.
 والمثال في مستوى الكلمة هو "مجموع الحروف الأصلية والزائدة مع حركاتها وسكناتها كلّ في موضعه وهو البناء أو وزن الكلمة؛ وذلك على نحو كتب، وكاتب، ومكتوب، واستنتج، واستخرج... فلكل كلمة من هذه الكلمات مثال يحكم بناءها؛ أي عدد هذه

¹ عبد الرحمن الحاج صالح "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، منشورات المجمع للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر. 2007. ج1، ص 218.

² عبد الرحمن الحاج صالح "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص16.

الحروف مع حركاتها وسكناتها مع مراعاة الحروف الأصلية والزائدة فيها. والمثل الذي يحكم بناء هذه الكلمات: (كتب)، و (كاتب)، و (مكتب)، و (استنتج) و (استخرج)، تكون لـ (فعل)، و (فاعل)، و (مفعول)، و (استفعل). وما يأتي مرتبا على ترتيب هذه الحروف يندرج تحت هذه الأبنية أو المثل.

وعدد مثل الكلمة محصور في العربية وفق ما أجازته العرب، فقال النحاة بأنها "تبلغ ألفا وثلاثمائة مثال، وقد أحصى منها سيبويه ثلاثمائة تقريبا وهي أشهرها"⁽¹⁾، منها ما هو سماعي، وما هو قياسي.

أما المثال في مستوى اللفظة فهو "مجموع الكلم الأصلية والزائدة مع مراعاة دخول هذه الزوائد وعدم دخولها (العلامة العدمية)، كل في موضعه. وهو مثال اللفظة اسمية كانت أم فعلية"⁽²⁾، فنجد اللفظة الاسمية والفعلية، ومثال كل منها النواة زائد عدد المواضع التي يمكن أن تتوفر عليها.

وأما المثال في المستوى التركيبي فيتضمن: "موضع العامل (ع) يدخل فيه الابتداء والنواسخ، والفعل، والناسخ، وغير الناسخ، وموضع المعمول الأول (م) ويدخل فيه المبتدأ أو الفاعل أو ما يقوم مقامهما، وهي النواة، وتلحق بهذه النواة مواضع للعناصر المخصصة (خ) الحال، والتّمييز والمفاعيل الأخرى"⁽³⁾. ويتميّز مثال المستوى التركيبي عن مثل بقية المستويات في أن العناصر الداخلة في اللفظة والداخلة في الكلمة لا يمكن أن يحصل فيها تقديم وتأخير، في حين يمكن ذلك في المستوى الأعلى في بعض الأوضاع وشروط معينة.

○ مفهوم الأصل والفرع:

عرف الحاج صالح الأصل بقوله: "ما بينى عليه ولم بين على غيره وهو ما يستقل بنفسه - أي يمكن أن يوجد في الكلام وحده - ولا يحتاج إلى علامة ليطمايز عن فروعها فله العلامة العدمية "marque zéro"⁽⁴⁾. فهو عنصر ثابت مستمر لا يمكن أن ينحل أو

¹ المرجع نفسه، ج 2، ص 17.

² المرجع نفسه، ج 1، ص 89.

³ المرجع نفسه، ج 1، ص 90.

⁴ عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 217.

يتجزأ إلى أصغر وإلا زال بناؤه وفقد معناه، ومن بين خصائصه:

- خال من كل زيادة إيجابية أو سلبية.
- يتعلق وجوده بمفهوم آخر يدعى الفرع.
- ينتمي إلى جميع المستويات.

مثال: المذكر أصل للمؤنث وكذلك النكرة أصل للمعرفة.

وأما الفرع فهو: "الأصل مع زيادة مع شيء من التحويل"⁽¹⁾.

فالأصل هو العنصر الثابت المستمر، له العلامة العدمية يرمز له بالرمز صفر(0)...

الأصل) فعدم الزيادة أو غياب الزوائد أو العلامات هي دائما الميزة الأساسية للأصل.

وهذا ما جعل سيبويه يعبر عن مفهوم الأصل أحيانا بعبارة الأول: " فالأفعال أثقل

من الأسماء، لأن الأسماء هي الأولى، واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهي أشد تمكنا، لأن النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تعرف به واعلم أن الواحد أشد تمكنا من الجمع، لأن الواحد الأول، واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول وهو أشد تمكنا، وإنما يخرج التأنيث التذكير"⁽²⁾.

إن الأصل هو الذي يكون خاليا من العلامات والزيادات والفرع هو الأصل مع زيادة أي مع شيء من التحويل، كلما أضفنا علامة أو زائدة من الزوائد فرعنا عن الأصل وحدة جديدة. ويشمل هذا المفهوم في النحو العربي الأصل جميع المستويات اللغوية فلكلمة أصول وفروع ، ولفظة أيضا أصول وفروع، وكذلك مستوى التراكيب.

○ مفهوم الانفصال والابتداء:

اتبعت النحاة العرب الأوائل طريقة علمية موضوعية في تحليل الكلام مستغلين مبدأ الانفصال والابتداء، وهما صفتان يتحدّد بهما الكلام العربي، وهو ما يصفونه بأنه: " ما ينفصل وما يبتدأ"⁽³⁾.

و"الانفصال ليس بعده شيء، والابتداء ليس قبله شيء وبهما يتحدّد الكلام الأدبي،

¹ عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 127.

² سيبويه، الكتاب: ص 20-22.

³ سيبويه، الكتاب: ج 1، ص 96.

ومعنى ذلك أنّ كلّ وحدة لغوية قابلة للانفصال عما قبلها أو ما بعدها من الوحدات، وكلّ وحدة يمكن الابتداء أو الوقوف عليها حسب موقعها من الكلام، وهناك أصناف ثلاثة في اللسان العربي:

- وحدات يبتدأ بها، فتنفصل عما قبلها ولا يوقف عليها مثل (إلى).

- وحدات لا يبتدأ بها ويوقف عليها، أي أنها تنفصل عما بعدها، مثل: الضمير المتصل بالاسم أو الفعل.

- وحدات يبتدأ بها فتنفصل عما قبلها ويوقف عليها، فهي منفصلة عما بعدها، مثل: عبارة سعيد في جواب سؤال: من دخل؟⁽¹⁾.

ويرى الحاج صالح أن صفتي الانفصال والابتداء تمكنان الباحث من " استكشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام وبهذا ينطلق الباحث من اللفظ أولاً ولا يحتاج إلى أن يفترض أي افتراض كما يفعله التوليديون وغيرهم عندما ينطلقون من الجملة قبل تحديدها ... هذا المنطق هو في نفس الوقت وحدة لفظية لا يحددها إلا ما يرجع فقط إلى اللفظ وهو الانفصال والابتداء ووحدة إفادية لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة وعلى هذا فهي تحتل مكانا يتقاطع فيه اللفظ مع المعنى أو البنية بالإفادة"⁽²⁾.

إنّ النّحاة العرب الأوّلين انطلقوا من أقلّ ما يمكن أن ينطق به من الكلام المفيد والمقصود، ومنطلقهم من كل ما ينفصل ويبتدأ، وقد يكون بذلك الأصل لأشياء أخرى تتفرّع عليه؛ أي أن ينطلق من أقلّ ما ينطق به مما ينفصل ويبتدأ (الاسم) وكلّ شيء يتفرّع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلة، وسمى سيويه هذه النّواة بالاسم المفرد أو ما بمنزلة الاسم المفرد وترجمها الحاج صالح بـ lexie؛ أي اللفظة.

○ مفهوم الموضع والعلامة العدمية :

إنّ خلوّ الموضع من العنصر له ما يشبهه، وهو ما يسميه الحاج صالح بالعلامة

¹ سيويه، الكتاب: ج 1، ص 96.

² عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج 1، ص 219.

العدمية، وهي التي " تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر؛ وذلك كجميع العلامات التي تميز الفروع عن أصولها (المفرد والمذكر لها علامات غير ظاهرة بالنسبة للجمع، والمثنى، والمؤنث، والمصغر)، وكذلك هو الأمر بالنسبة للعامل، فإن العامل الذي ليس له لفظ ظاهر هو الابتداء⁽¹⁾.

ثم إن الموضوع: " لا يلتبس بما يمكن أن يكون فيه فالموضوع باق كجزء من البنية إذا ما خلا مما يدخل فيه"⁽²⁾. وقد يكون الموضوع فارغا لأن الموضوع شيء وما يحتوي عليه شيء آخر، وعملية الزيادة هي التي تحدد المواضع التي يمكن أن تظهر فيه هذه الزوائد مثلا: سيارة، السيارة، في السيارة، ...

○ مفهوم اللفظة والعامل:

لم يخلط النحاة العرب الأوائل في تحليلهم للغة بين البنية الصورية النحوية للفظ وبين آليات الإفادة والمفاهيم الراجعة إلى المعاني وحدها، ورأوا من الضروري أن ينطلقوا في تحليل اللغة من اللفظ وحده دون اللجوء إلى المعنى المقصود، وقد قدم النحاة العرب الأولون دراسة اللفظ على دراسة المعنى؛ لأن المعنى يفهم من اللفظ، وميز العرب بين اللفظ والمعنى. وانطلق النحاة العرب الأوائل في تحليلهم من مستوى اللفظة (la lexie) وهو: "المستوى الذي تتحدد فيه الوحدة اللفظية والوحدة الإعلامية (أو الإفادية)⁽³⁾. وما يمكن قوله إن هذا المنطلق هو وحدة لفظية (unité sémiologique) لا يحددها إلا ما يرجع فقط إلى اللفظ، ووحدة إفادية (unité communicationnelle) لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة.

ويمكن القول إن النحاة العرب الأوائل لم ينطلقوا من مستوى الوحدة الصورية ولا مستوى الكلمة، ولا مستوى الجملة بل من مستوى اللفظة وهو المستوى المركزي باعتبارها أصغر وحدة في الكلام يمكن أن يبدأ وينفصل ولا تقبل التجزئة.

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج 1، ص 222.

² عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج 1، ص ن.

³ عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج 1، ص 326.

❖ المعجمات والقواميس

- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط: جزء 01، مكتبة الشروق الدولية، 2008م.
- ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل)، المخصص: ج13، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين القزويني)، مقاييس اللغة: تح/ عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ج2، ط، دت.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن محرم): لسان العرب: مجلد 7، مادة (صوت) دار صادر، بيروت. لبنان. ص320.
- أبو بكر الأنباري، الأضداد: تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. 1987م.
- الرازي (محمد بن أبو بكر)، مختار الصحاح: دار الكتاب العربي، بيروت، ط1. 1967م.
- الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر)، أساس البلاغة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.
- الشريف الجرجاني، التعريفات: طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1357هـ، 1938م.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، كتاب العين: تحقيق عبد الحميد هنداوي، مادة حل، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.
- جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها: ج1. تح/ فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط01، 1418هـ/1998م.
- جورج موانان، معجم اللسانيات، ترجمه جمال الحضري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط01، 2012م.
- عبد اللطيف الفاربي، وآخرون، معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك: 01- سلسلة علوم التربية: 9-10 ب. ط، ب. ت.
- محمد عليّ التهانوي، موسوعة كَشَف اصطلاحات الفنون والعلوم: جزء 01، تح/ عليّ دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان. ط1، 1996م.

❖ المراجع العربية

• إبراهيم أنيس:

- الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. ط4، 1971.
- دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984م.

• إبراهيم مصطفى:

- إحياء النحو العربي: مؤسسة هنداوي، مصر. 2014م.

• ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الجَزْري):

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق: كامل عويصة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
- ابن جنبي (أبو الفتح عثمان):
- المنصف في شرح تصريف المازني: تح/ إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وإدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م، ج1.
- الخصائص: ج1، ج2. دار الكتب المصرية، 1371هـ-1952م.
- ابن سينا (الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي):
- أسباب حدوث الحروف، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكلية الأزهرية، القاهرة، 1978.
- ابن هشام (جمال الدين الأنصاري):
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ج1، تح/ مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر بدمشق. ط1، 1964م.
- أحمد الحملاوي:
- شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر العربي، بيروت. ط1، 1999م.
- أحمد المتوكل:
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2، 2010م.
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي - الأصول والامتداد: دار الأمان، الرباط. المغرب. ط1، 2006م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 01، 1995م.
- أحمد حساني:
- مباحث في اللسانيات: منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الإمارات. ط2، 2013م.
- أحمد عزوز:
- المدارس اللسانية - أعلامها ومبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي - : دار الرضوان، وهران، الجزائر. 2008م.
- أحمد محمد قدور:
- مبادئ اللسانيات العامة، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م.
- أحمد مختار عمر:
- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1988م.
- البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب: دار الثقافة، بيروت، لبنان. 1972م.

- علم الدلالة، عالم الكتب، ط2، 1988م.
- أحمد مومن:
- اللسانيات النشأة والتطور: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. ط2، 2005م.
- إدريس السغروشني:
- مدخل للصواتة التوليدية: دار توبقال للنشر، المغرب. ط1، 1987م.
- إسماعيل علوي:
- وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومة، الجزائر، 2000م.
- الأزهر الزناد:
- نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا: المركز الثقافي العربي، بيروت. ط1، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين: ج01، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر. ط7، 1997م.
- الطاهر بومزبر:
- التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007م.
- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي):
- معيار العلم في فن المنطق: تح/ سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961م.
- بكري محمد الحاج:
- اتجاهات التحليل اللغوي: النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية. ط1، 2014.
- تمام حسان:
- الأصول، دراسة إيستمولوجية للفكر اللغوي العربي-النحو- فقه اللغة- البلاغة: عالم الكتب، مصر. 1420هـ- 2000م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب. ط1994.
- مناهج البحث في اللغة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م.
- جلال الدين السيوطي:
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ج1، تح/ عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة.
- حافظ إسماعيل علوي:
- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته: دار الكتاب الجديدة المتحدة. ط1، 2009م.
- حافظ إسماعيل علوي، امحمد الملاخ:

- قضايا إبستمولوجية في اللسانيات: الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر. ط1، 1430هـ/2009م.
- **حسني خالد:**
- مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، مطبعة أنفو-برانت، فاس.
- **حلمي خليل:**
- الكلمة: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط2، 1992م.
- مقدمة لدراسة علم اللغة، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.
- **حنيفي بناصر ومختار لزعر:**
- اللسانيات: منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 2009م.
- **خليفة بوجادي:**
- اللسانيات النظرية: دروس وتطبيقات، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2012م.
- **خولة طالب الإبراهيمي:**
- مبادئ في اللسانيات: دار القصة، الجزائر. ط2، 2006.
- **رجب عبد الجواد إبراهيم:**
- دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب القاهرة، 2001م.
- **رمضان عبد التواب:**
- المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980.
- **سعيد حسن بحيري:**
- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات: مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية، لنجمان. ط1، 1997م.
- **سليم بابا عمر وباني عميري:**
- اللسانيات الميسرة (علم التراكيب): بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، 1990م.
- **سليمان بوراس:**
- مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما: مجلة دراسات أدبية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، مركز البصرة، القبة، الجزائر: العدد 04، ص102.
- **سمير شريف إستيتية:**
- اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 1492هـ- 2008م.
- **سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر):**
- الكتاب: ج1، تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.

- **صالح بلعيد:**
 - التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994.
- **صائل رشدي أصيل:**
 - عناصر تحقيق الدلالة في العربية دراسة لسانية، دكتوراه بإشراف الدكتور نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، 2003م.
- **صلاح الدين زرال:**
 - الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية، للعلوم ناشرون ومنتشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008م.
- **صلاح فضل:**
 - بلاغة الخطاب وعلم النص: سلسلة أدبيات، مكتبة لبنان، القاهرة، ط1، 1996م.
- **طه عبد الرحمان:**
 - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2000م.
- **عادل مناع:**
 - نحو النص، اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية: مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011م.
- **عباس حسن:**
 - النحو الوافي: دار المعارف، القاهرة، مصر. ط 3، دت.
- **عبد الجليل مرتاض:**
 - اللغة العربية والاتصال: دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م.
- **عبد الرحمان الحاج صالح:**
 - مدخل إلى علم اللسان الحديث، اللسانيات، مجلة في علوم اللسان، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، 1997، العدد7، ص12-13.
 - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات المجمع للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر. 2007. ج1.
 - الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، حوليات جامعة الجزائر، مجلد 06، عدد 01. 1991. ص 33-44.
- **عبد الرحمن أيوب:**
 - دراسات نقدية في النحو العربي: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. 1957م.
- **عبد السلام المسدي:**
 - الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا. ط3، 2008م.

- مباحث تأسيسية في اللسانيات: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان. ط1، 2010م.
- **عبد العزيز عتيق:**
- مدخل إلى علم الصرف: دار النهضة العربية، بيروت. ط2، 1990م.
- **عبد القاهر الجرجاني:**
- دلائل الإعجاز: تح/ عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م.
- **عبد المالك مرتاض:**
- النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
- **عبد الراجحي:**
- التطبيق الصرفي: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1974م.
- **عز الدين مجدوب:**
- المنوال النحوي- قراءة لسانية جديدة: كلية الآداب، سوسة، تونس. ط1، 1998م.
- **فاطمة الهاشمي بكوش:**
- نشأة درس اللساني العربي الحديث: إيتراك النشر والتوزيع، مصر. ط1، 2004م.
- **فايز الدالية:**
- علم الدلالة العربي: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- **كمال بشر:**
- **علم الأصوات:**
- دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، 2000.
- **مازن الوعر:**
- قضايا أساسية في اللسانيات، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988م.
- **محمد الحناش:**
- البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1982م.
- **محمد بلبول:**
- بنية الكلمة في اللغة العربية تمثيلات ومبادئ: منشورات فكر، الرباط. ط1، 2008م.
- **محمد بن إدريس الشافعي:**
- الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر. د ط، د ت.
- **محمد حسين علي الصغير:**
- الصوت اللغوي في القرآن: دار المؤرخ العربي، بيروت. ط1، 2000م.
- **محمد خطابي:**

- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991م.
- **محمد علي عبد الكريم الرديني:**
 - فصول في علم اللغة العام: دار الهدى، عين مليلة، الجزائر. 2007م.
 - **محمد محمد داود:**
 - العربية وعلم اللغة الحديث: دار غريب، القاهرة، 2001م.
 - **محمد يونس علي:**
 - مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004م.
 - **محمود أحمد نحلة:**
 - لغة القرآن الكريم في جزء عم: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م.
 - **محمود السعران:**
 - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ-1992م.
 - **محمود فهمي حجازي:**
 - المدخل إلى علم اللغة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
 - **مصطفى غلفان:**
 - اللسانيات العربية الحديثة - أسئلة المنهج: دار ورد الأردنية، ط1، 2013م.
 - اللسانيات في الثقافة العربية - حفريات النشأة والتكوين: شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 2006م.
 - في اللسانيات العامة: طار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان. ط1، 2010م.
 - **ميشال زكرياء:**
 - الألسنة (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1403هـ-1983م.
 - الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. ط2، 1985م.
 - **نعمان بوقرة:**
 - اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: عالم الكتب الحديث، الأردن. 2009م.
 - محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار - عنابة، 2006م.
 - **نوال عطية:**
 - علم النفس اللغوي، الأنجلو المصرية، 1975م.
 - **نور الدين النيفر:**
 - فلسفة اللغة واللسانيات: مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس. 1993م.

- **وليد محمد السراقبي:**
- الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية مدارسها: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان. ط1، 1440هـ / 2019م.
- **يحي الهويدي:**
- قصة الفلسفة الغربية: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م.
- **يوسف إسكندر:**
- اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقالات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط2، 2008.
- **فخر الدين قباوة:**
- الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونغمان، ط1، 2001م.

❖ المراجع المترجمة

- **إميل بنفينيست:**
- مشكلات اللسانيات العامة: منشورات سيراس، تونس. 1995م.
- **بول وبراون:**
- تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير الزكي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م.
- **جورج موان:**
- تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى غاية القرن العشرين: تر/ نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة، دمشق.
- **جوزيف فنديس:**
- اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخي ومحمد القصاص، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1950م.
- **جوليا كرستييفا:**
- علم النص: تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1991م.
- **ر. هـ. روبنز:**
- موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، 1997م.
- **روبرت دي بوجراند:**
- النص والخطاب والإجراء: تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، بيروت، ط1، 1998م.

- **رومان جاكبسون وموريس هالة:**
 - أساسيات اللغة: ترجمة سعيد الغانمي، كلمة- أبو ظبي، والمركز الثقافي العربي، بيروت. ط1، 1429هـ / 2008م.
- **رومان جاكبسون:**
 - قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 1986م.
- **رونالد إيلولر:**
 - مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، سورية. 1980.
- **روي هاريس:**
 - أعلام الفكر اللغوي: تعريب أحمد شاكر الكلابي، ط12، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان. 2004م.
- **سالم شاكر:**
 - مدخل إلى علم الدلالة: ترجمة يحياتين، دار المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- **فان دايك:**
 - علم النص مدخل، متداخل الاختصاصات: تر/ سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر. ط1، 2001م.
 - النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: تر/ عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 2000م.
 - النصّ بنى ووظائف، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
- **فردينا ده سوسر:**
 - محاضرات في الأسنية العامة: ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة. 1986م.
- **كارل ديتربونتج:**
 - المدخل إلى علم اللغة: ترجمة/ سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة. ط1، 1424هـ / 2003م.
- **ميلكا افيتش:**
 - اتجاهات البحث اللساني: ترجمة/ سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة. ط2، 2000م.

- **ANDRÉ Martinet,**
 - Eléments de linguistique générale, ARMAND COLIN, Paris, 1980.
- **Daniel Delas et Jacques Fillion :**
 - Linguistique et Poétique: Larousse, Paris, 1973.
- **Ferdinand DE SAUSURE :**
 - cours de linguistique générale, TALANTIKIT, Bejaïa, 2002.
- **Fodor: Janet Dean :**
 - semantic theory of meaning in generative grammar, 2ed, New York, Harvard, university press, 1982.
- **Georges Mounin :**
 - Clefs pour la linguistique, éditions Seghers, Paris 1971.
 - dictionnaire de la linguistique: Qadrigue ducos poche, p 2004.
 - La linguistique du 20e siècle, Paris, P.U.F, 1975.
- **Jean Dubois et autres :**
 - dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse-Bordas/HER. 1999.
- **Lyons John, Semantics:**
 - University press, 1977, v1, p 327.
- **Micro – Robert :**
 - dictionnaire du Français primordial : Le Robert, 1986. Paris.
- Larousse -Bordas/HER; 1999. P267.

| رقم | العناصر | صفحة |
|-----|--|---------|
| | المقرر الرسمي لمادة اللسانيات | 02 |
| | تقديم | 03 |
| 01 | مدخل: تاريخ الفكر اللساني1 | 15- 4 |
| 02 | مدخل: تاريخ الفكر اللساني2 | 24 -16 |
| 03 | اللسانيات الحديثة: (مفهومها/ موضوعها/ مجالاتها)1 | 34 -25 |
| 04 | اللسانيات الحديثة: (مفهومها/ موضوعها/ مجالاتها)2 | 46-35 |
| 05 | خصائص اللسان البشري | 55-47 |
| 06 | اللسانيات والتواصل | 65-56 |
| 07 | وظائف اللغة | 74-66 |
| 08 | مستويات التحليل اللساني1 | 88-75 |
| 09 | مستويات التحليل اللساني2 | 96-89 |
| 10 | مستويات التحليل اللساني3 | 104-97 |
| 11 | مستويات التحليل اللساني4 | 117-105 |
| 12 | مستويات التحليل اللساني5 | 129-118 |
| 13 | الدراسات اللسانية العربية الحديثة1 | 137-130 |
| 14 | الدراسات اللسانية العربية الحديثة2 | 149-138 |
| | المراجع | 150 |
| | فهرس الموضوعات | 160 |